

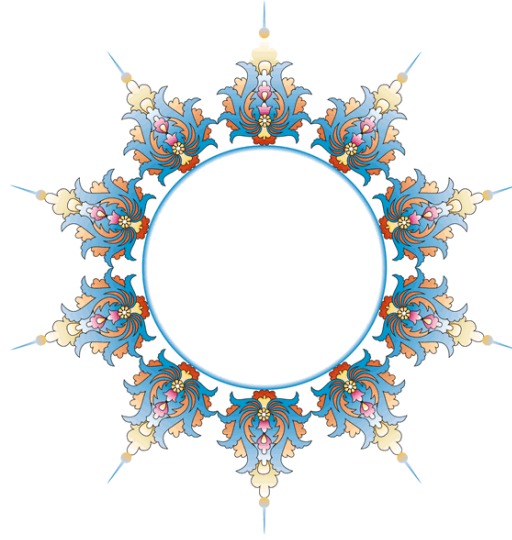
الدِّفَاعُ عَنِ الْمَسِيحِيَّةِ

** في الإنجيل بحسب مَرْقَس

The Apology of Christianity
** In the Evangel according to Mark

الأرشمندريت يوسف درّة الحدّاد
Archimandrite Youssef Durrah al-Haddad

www.muhammadanism.org
March 9, 2006



١

الدفاع عن المسيحية

** في الإنجيل بحسب مرقس



طبعة ثانية منقحة

جونه ١٩٨٨

منشورات المكتبة البولسيّة

١

الدفاع عن المسيحية

** في الإنجيل بحسب مرقس

*

الأرشمندريت يوسف درّة الحدّاد

*

منشورات المكتبة البولسية

تقديم

صدر ((الدفاع عن المسيحية)) للأرشمندريت يوسف درة الحداد، عام ١٩٦٧، بكتابين في جزء واحد. وكان يشمل تمهيداً : في ((ما هو الإنجيل ؟))، وكتاباً أولاً : في ((الإنجيل بحسب متى)) ، وكتاباً ثانياً : في ((الإنجيل بحسب مرقس)) .

وفي طبعة عام ١٩٨٨ هذه، فصل الكتابان تسهيلاً لاقتنائهما ومساعدةً لطلاب اللاهوت والكتاب المقدس في دراستهما. واحتفظنا بالتمهيد العام في الكتاب الأول، فيشكل هكذا افتتاحاً لسائر الكتب.

وبذلنا جهداً في تصحيح ما ورد من أخطاء في الطبعة الأولى، وزدنا ما يلزم من عناوين تسهّل الرجوع إلى دراسة الفصول.

وبهذه الطريقة سوف تظهر أجزاء سلسلة ((مصادر الوحي الإنجيلي)) كلٌّ في كتابين، فتشكل في مجموعها ثمانية كتب :

الجزء الأول : الدفاع عن المسيحية : (١) في الإنجيل بحسب متى
(٢) في الإنجيل بحسب مرقس.

الجزء الثاني : تاريخ المسيحية : (١) في الإنجيل بحسب لوقا
(٢) في سفر أعمال الرسل.

الجزء الثالث : فلسفة المسيحية : (١) الرسول بولس
(٢) رسائل بولس.

الجزء الرابع : صوفية المسيحية : (١) في الإنجيل بحسب يوحنا
(٢) في سفر الرؤيا.

وأملنا أن تسهم هذه السلسلة في إخراجها الجديد في نشر الكلمة، ليس فقط في الأوساط الإكليريكية بل في المجتمع المسيحيّ فيقبل الجميع على قراءة الإنجيل المقدّس والتعمّق في دراسته.

جونيه، في ٢١ أيار ١٩٨٨ .

فهرس

١٥	: الإنجيل بحسب مرقس	الكتاب الثاني
١٧	: منزلته في الوحي الإنجيلي	مقدمة
١٩	: تمهيد في الإنجيل بحسب مرقس	الفصل الأول
٢١	: الإنجيل بحسب مرقس هو رواية بطرس الرسول	بحث أول
٢٢	طريق الإسناد الأولى	
٢٤	طريق الإسناد الثانية – والثالثة	
٢٥	طريق الإسناد الرابعة	
٢٧	: قرائن الإنجيل دلائل عليه	بحث ثان
٢٨	١ – إنه تفصيل لدعوة بطرس في سفر الأعمال	
٢٨	٢ – أخبار بطرس فيه	
٢٩	٣ – اللقطات الواقعية فيه مشاهدة عيان	
٢٩	٤ – قصصه يمثل فطرة بطرس	
٣٠	٥ – إنه الإنجيل إلى الرومانيين	
٣١	٦ – تعابير اللاتينية	
٣٢	: سيرة مرقس وشخصيته	بحث ثالث
٣٣	بيئة مرقس العائلية دليل ثقافته	
٣٤	عمل مرقس في الرسالة المسيحية	
٣٦	صحبه لبطرس وبولس تجعله ثقة	

٨٣	بحث رابع	: زمن تدوين الإنجيل بحسب مرقس
٣٨		الرواية السورية
٣٩		الرواية الإسكندرية
٤٠	بحث خامس	: بيئة الإنجيل بحسب مرقس
٤٠		مكان التدوين هو في الإسكندرية، أو في إنطاكية؟
٤١		التدوين تم في رومية، للرومانيين
٤٣	الفصل الثاني	صحة الإنجيل بحسب مرقس التاريخية
٤٥	توطئة	: قصة الحدث الأكبر والسر الأعظم
٤٧	بحث أول	: هل هو دعوة أم تاريخ؟
٤٧		الشبهة الأولى : الإنجيل عقيدة أكثر منها تاريخاً
٥١		الشبهة الثانية : الإنجيل دفاع عن رسالة أكثر منه تاريخ رسول
٥٣		الشبهة الثالثة : الإنجيل تعليم أكثر منه سيرة
٥٥	بحث ثان	: هل من شبهات على الإنجيل من نفسه؟
٥٥		١ - شبهة أولى : نواقصه وزياداته شبهة عليه
٥٨		٢ - شبهة ثانية : من تأثير بولس في الإنجيل بحسب مرقس
٦١		٣ - شبهة ثالثة : مقارنة مرقس بمتى
٦٣		٤ - شبهة رابعة : الدعوة المسيحية بين القومية والعالمية
٦٥		٥ - شبهة خامسة : قصص شعبي، لا تاريخ سيرة
٦٧		٦ - شبهة سادسة : رواية تابعي، لا شاهد عيان

٩	فهرس
١٧	بحث ثالث : شبهات ما بين التاريخ والإيمان
٧١	١ — شبهة أولى : إنه تدوين دعوة الرسل للمسيح أكثر منه دعوة المسيح
٧٣	٢ — شبهة ثانية : ليس الإنجيل كله رواية بطرس
٧٤	٣ — شبهة ثالثة : مسيح الإنجيل هو مسيح الإيمان، لا يسوع التاريخ
٧٩	الفصل الثالث : تحليل الإنجيل بحسب مرقس
٨١	تمهيد : دلائل للتخطيط
٨٣	بحث أول : الأسس الموضوعية
٨٣	أولاً : دلائل للكشف عن تخطيطه
٨٦	ثانياً : تخطيط موجز
٩٠	بحث ثان : تحليل الإنجيل بحسب مرقس
١٠٥	الفصل الرابع : أسلوب الإنجيل بحسب مرقس
١٠٧	توطئة : إنه يمثل العرضة الأولى للإنجيل
١٠٩	بحث أول : أسلوبه اللغوي
١٠٩	أسلوب المحدث الشعبي
١١٠	أسلوب سامي لا إغريقي
١١٣	بحث ثان : أسلوبه الإنشائي
١١٣	يجمع الأحداث بلا تأليف بينها
١١٣	التصوير الفني عند مرقس
١١٤	لا يعرف الاستنتاج بالحرف اليوناني
١١٥	يحدث بصيغة الحاضر لا الماضي

١٦١	بحث ثالث	: أسلوبه القصصي
١١٦		١ — ميزته الأولى : الواقعية
١١٨		٢ — ميزته الثانية : الطبعية في فنه القصصي
١١٩		٣ — ميزته الثالثة : الحيوية في الرواية
١٢٣	بحث رابع	: أسلوبه البياتي
١٢٤		يكتفي بما قل ودل
١٢٤		يروى الواقع المحسوس الملموس
١٢٥		صدق بيانه في واقعيته
١٢٨	فصل الخطاب ،	في أسلوب الإنجيل بحسب مرقس : ((إنجيل)) من ((السهل الممتع))
١٣١	الفصل الخامس	: شهادة الإنجيل بحسب مرقس
١٢٣	توطئة	: الإنجيل بحسب مرقس هو إنجيل بطرس، لا إنجيل بولس
١٣٧	بحث أول	: ((إنجيل يسوع، المسيح، ابن الله))
١٣٨		١ — إنه ((ابن الله)) ، بسلطانه الإلهي على الشياطين
١٣٩		٢ — إنه ((ابن الله)) بسلطانه الإلهي على الملائكة
١٣٩		٣ — إنه ((ابن الله)) بسلطانه الإلهي على البشر
١٤٠		٤ — إنه ((ابن الله)) بسلطانه الإلهي على الطبيعة
١٤١		٥ — إنه ((ابن الله)) بسلطانه الإلهي على الموت والحياة
١٤١		٦ — إنه ((ابن الله)) بسلطانه الإلهي في الدنيا والآخرة
١٤٢		٧ — إنه ((ابن الله)) بسلطانه الإلهي في الغفران والتصريف
١٤٢		بشريعة الله
١٤٣		فسلطان المسيح سلطان إلهي مطلق

٤٤١	: أسماء المسيح الحسنى	بحث ثان
١٤٤	١ — إنه ((المعلم))	
١٤٥	٢ — إنه ((النبي))	
١٤٧	٣ — إنه ((الرب))	
١٤٨	٤ — إنه ((المسيح))	
١٥٠	٥ — إنه ((ابن البشر)) بحسب نبوة دانيال	
١٥٢	٦ — إنه ((ابن الله))	
١٥٥	٧ — إنه ((يسوع)) أي المخلص	
١٥٧	: يسوع يتخذ صفات إلهية، ويعمل أعمالاً إلهية	بحث ثالث
١٥٧	يسوع يتخذ لنفسه صفات إلهية	
١٥٨	يسوع يعمل من نفسه أعمالاً إلهية	
١٥٩	يسوع يقبل العبادة له من الخلائق	
١٦٠	: يسوع هو الرسول الأعظم	بحث رابع
١٦٠	إنه الرسول الأعظم بشخصه ودعوته	
١٦٠	رسالته خدمة للبشرية	
١٦٢	رسالته ضحية في سبيل البشرية	
١٦٣	: ((سر ملكوت الله)) في الإنجيل بحسب مرقس	بحث خامس
١٦٣	ملكوت الله سر	

٦٤١	المسيح نفسه محور سر ملكوت الله	
١٦٥	فالشهادة للمسيح والإنجيل والملكوت واحدة	
١٦٧	سر الصليب :	بحث سادس
١٦٧	قضى المسيح سنة لإفهام رسله سر صلبه	
١٦٨	حجب المسيح عن الشعب سرّ صلبه لئلا يشككهم	
١٦٩	لكن في الأسبوع الأخير الحاسم يكشف للسلطات والجماهير سر الصليب	
١٧٠	سرّ المسيح :	بحث سابع
١٧٠	الكشف عن ((سر المسيح)) محور السيرة والدعوة	
١٧٢	نواحي ((سر المسيح)) في الإنجيل بحسب مرقس	
١٧٣	سرّ المسيح في لقبه : ((ابن البشر))	
١٧٥	مسيحية يسوع وإهيته :	خاتمة الكتاب
١٧٧	: يسوع، ابن مريم، هو المسيح الموعود	أولاً
١٨١	: يسوع المسيح هو ابن الله	ثانياً
١٨١	الدليل الأول: سلطانه الإلهي المطلق	
١٨٢	الدليل الثاني: سلطانه الإلهي في التعليم	
١٨٣	الدليل الثالث: إشارات متواترة لسر شخصيته	
١٨٣	الدليل الرابع: المسيح يطلب لنفسه ما يطلبه الله لذاته من عباده	

- ٨٤١ الدليل الخامس : يسوع ينسب لذاته صفات إلهية
١٨٦ الدليل السادس : يسوع هو ملك يوم الدين
١٨٧ الدليل السابع : الشهادة لإلهيته والاستشهاد في سبيلها
١٨٩ فالمسيح هو الحي الباقي

[Blank Page]

الكتاب الثاني

الإنجيل بحسب مرقس

أو
الدفاع عن المسيحية، بعرضها في البيئة
الهلنستية الرومانية

[Blank Page]

مقدّمة

منزّلتُهُ في الوحي الإنجيلي

في الترتيب التاريخي يرد الإنجيل بحسب مرقس، في المخطوطات جميعها، الثاني بعد متى، من حيث الظهور والتدوين.

لكن بما أنّ الإنجيل بحسب متى لم يصلنا بلغته الأصلية، وبما أنه في ترجمته يعتمد على مرقس، فالإنجيل بحسب مرقس هو الأول في الترتيب التاريخي الواقعي.

وواقع الإنجيل بحسب مرقس يوحي بأنه الصيغة الأولى لتعليم الرسل في المسيح والمسيحية. بدائية الكلام المسيحي فيه تجعله بداية فيه. وقصصه الشعبي، بلا كلام مقصود منظم مثل متى، دليل ذلك أيضاً. ومن المتواتر أنه رواية بطرس، الرسول الزعيم؛ وفي الواقع إنّ هو إلا تفصيل لخطاب بطرس في هداية كرنيليوس الأمي الأول، في روايته وهدفه، كما نقله لنا لوقا في سفر الأعمال (١٠ : ٣٤ - ٤٣). وهو يصف واقع سر المسيح من سيرته، في بشريته وإلهيته، بلغة الفطرة والشعب، لا بلغة الكلام مثل متى، ولا بلغة التاريخ مثل لوقا، ولا بلغة الصوفية مثل يوحنا. وهذه الظاهرة الكبرى دليل على أنه الصيغة الأولى للدعوة المسيحية.

لذلك كان الإنجيل بحسب مرقس، في الترتيب الموضوعي، في المرتبة الرابعة والأخيرة عند الأقدمين، فقد لا نعثر له على تفسير عندهم، لأنه كله، إلا خمسين آية، موجود عند متى وعند لوقا. لكنه، بما أنه الشهادة الرسولية الأولى، في صيغتها الفطرية، للدعوة المسيحية، فقد احتل المنزلة الأولى عند علماء العصر، وجعلوه المرجع الأول لسيرة المسيح وسره في دعوته وشخصيته.

*

[Blank Page]

الفصل الأول تمهيد للإنجيل بحسب مرقس

بحث أول : الإنجيل بحسب مرقس هو رواية بطرس الرسول

بحث ثان : قرائن الإنجيل تدلّ على أنه
رواية بطرس الرسول

بحث ثالث : سيرة مرقس وشخصيّته

بحث رابع : زمن تدوين الإنجيل بحسب مرقس

بحث خامس : بيئة الإنجيل بحسب مرقس

[Blank Page]

لا تصح عن المسيح إلا رواية رسول من صحابته، شاهد العيان، لدعوته وشخصيته. وبما أن مرقس لم يكن من رسل المسيح الاثني عشر الذين ((أقامهم ليكونوا معه ثم يرسلهم للدعوة)) (مر ٣ : ١٤)، كما يحدّد الإنجيل بحسب مرقس نفسه، فهذا التمهيد هو أساس كل بحث في هذا الإنجيل : هل هو رواية رسولية أم لا ؟

بحث أول

الإنجيل بحسب مرقس هو رواية بطرس الرسول

أجمعت الآثار والأخبار، منذ عهد الرسل، على أن مرقس كان ((ترجمان بطرس)) وهو ينقل روايته لسيرة المسيح ودعوته. وتأتي السنّة المسيحية فتؤيد هذا الإجماع بتلاوة الإنجيل في الكنائس كلها باسم مرقس. وبما أن مرقس كان من الشخصيات الثانوية في العهد الرسولي، فهذا الإجماع بالإسناد المتواتر، دليل على صحة النسبة إلى مرقس، باعتباره رواية بطرس.

وقد أوجز رينان^١ الجاحد رأي أهل النقد من غير المؤمنين في الأخبار والآثار المسيحية والإنجيلية : ((لم يكن مرقس من عمدة الكنيسة حتى يعتد المسيحيون باسمه، فينسبون إليه كتابة الإنجيل، لو لم يكن هو كاتبه)) . وبما أن الإجماع على أن الإنجيل بحسب مرقس هو رواية بطرس، فكان أولى لهم إسناده إلى بطرس نفسه، وهو أولى بالشفاعة، لولا الحقيقة التاريخية المنقولة بالتواتر عن الرسل أنفسهم من يوحنا إلى بولس إلى بطرس إلى مرقس نفسه.

وتتواتر الشهادات بالإجماع، منذ عهد الرسل، من أطراف العالم المسيحي كله.

الطريق الأولى عن تلامذة يوحنا الرسول. ولنا فيها شهادتان.

الشهادة الأولى، من أول مفسر للإنجيل، الأسقف بابياس، على لسان ((يوحنا الكاهن)) الذي إن لم يكن يوحنا الرسول، فهو على أقل اعتبار تلميذه وعشيرته. ففي ((تفسير أقوال الرب)) من عام ١٢٥ — ١٣٠، أي عشرين إلى الثلاثين سنة بعد وفاة الرسول يوحنا، قال : ((هذا ما كان يقوله الكاهن الشيخ :

((مرقس، كان ترجمان بطرس، وقد كتب بدقة، لا بترتيب، كل ما تذكره من أقوال الرب وأعماله.

((فإنه لم يسمع الرب، ولم يتبعه^٢ . لكن كما قلت فقد تبع بطرس فيما بعد. وهو (أي بطرس) كان يلقي تعليمه بحسب الظروف، دون تأليف وترتيب

(١) Les Evangiles Synoptiques III p. 39: 15

(٢) هذا التعبير : ((لم يسمع الرب ولم يتبعه)) يجب ألا يؤخذ على إطلاقه. أجل إنه ((لم يسمع الرب ولم يتبعه)) كرسول؛ لكن يظهر إنه كان من ((تلاميذ)) المسيح : فهو الوحيد الذي يذكر في توقيف يسوع ببستان الزيتون ذلك ((الشاب)) الذي أمسكوه مع يسوع فترك إزاره وفرّ عرباناً (مر ١٤ : ٥١ — ٥٢)، وبيت أمه مريم كان ملقى المسيحيين للصلاة في مطلع الدعوة، وإليه لجأ بطرس عند خروجه من السجن (أع ١٢ : ١٢).

لوحى المسيح. لذلك لا حرج على مرقس إذا لم يذكر سوى ما تذكره. وهمه الوحيد كان ألا يسقط شيئاً مما سمعه، وألاً يضيف إليه شيئاً من عنده^(١).

تلك هي شهادة يوحنا الرسول، مباشرة، أو بواسطة تلميذه يوحنا الشيخ رفيق يوحنا الرسول الذي أقامه أسقفاً : فهي شهادة رسولية على أن مرقس كان تلميذ بطرس، و((ترجمانه)) ، وناقلاً روايته للإنجيل بدقة وأمانة. ويفسر بابيلاس الأسقف ظاهرة الإنجيل بحسب مرقس أنه ((بلا ترتيب ولا تأليف)) بياني مثل متى، وتاريخي مثل لوقا، وكلامي صوفي مثل يوحنا. وهذه شهادة قيمة أيضاً لصحة نقل مرقس لرواية بطرس.

والشهادة الثانية، عن الرسول يوحنا، من الأسقف العالم إيريناوس، بواسطة معلمه بوليكريس تلميذ يوحنا الرسول الذي أقامه أسقفاً. وبما أن إيريناوس من الشرق وكان أسقف ليون في فرنسا على صلة متواترة مع رومة، فنسمع بواسطته شهادة الكنيسة كلها نحو العام ١٧٥ - ١٨٠. قال : ((وهكذا بشر متى العبرانيين بلغتهم، وكتب الإنجيل بينما بطرس وبولس يبشران في رومة ويؤسسان الكنيسة فيها. وبعد خروجهما من العالم، مرقس تلميذ وترجمان بطرس نقل لنا هو أيضاً كتابة دعوة بطرس)) (الرد على الهرطقات ك ٣ ف ١ ع ١).

فهذه الشهادة تأييد وتكميل لشهادة بابيلاس. فمرقس كان ((تلميذاً)) لبطرس قبل أن يصير ((ترجماناً)) له. وهذا قد يعني أن بطرس هو الذي هداه وعمّده مع خاله برنابا، عندما كان يتردد في أورشليم على بيت مريم، أخت برنابا وأم مرقس حيث كانت الكنيسة تجتمع للصلاة (أع ١٢ : ١٢). ويوضح إيريناوس أيضاً أن مرقس دوّن رواية معلمه بطرس بعد وفاته، وهذا توضيح لكلمة بابيلاس أن مرقس دوّن رواية بطرس كما ((تذكرها)) ، ممّا يدل على أنه كان قد انفصل عنه.

(١) نقل شهادته اوسابيوس في تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٣٩ ع ١٥.

فمن يوحنا الرسول بطريق بابيلاس عن يوحنا ((الكاهن الشيخ)) ، وبطريق ايريناوس عن بوليكربس، أن مرقس كان ((ترجمان)) بطرس، وروايته في إنجيله. إنها شهادة صحيحة بالإسناد الصحيح والتواتر الصحيح والإجماع الصحيح.

والطريق الثانية عن آل بيت المسيح في أورشليم، بواسطة شاهدين من فلسطين، طوقا في الأفاق، وجابا الكنائس، حتى وصلا إلى رومة، وكان لهما فيها جولات صادقة.

الشهادة الأولى من هيجسبُس الذي يذكر الأناجيل بأسمائها كما نعرفها.

والشهادة الثانية من الشهيد العلامة **يستينوس**، من نابلس، الذي استقر في رومة، وفيها كتب (محاوراته) . ففي الحوار ١٠٦ مع اليهودي تريفون يسمي الأناجيل : ((ذكريات يسوع)) ، ((مذكرات الرسل المسمّاة أناجيل)) ؛ ويسمي الإنجيل بحسب مرقس ((مذكرات بطرس)) . وينقل أن الرب يسوع غير اسم سمعان باسم بطرس، واسما يوحنا ويعقوب باسم ((بوانرجس)) أي ابني الرعد؛ وهذا اللقب لا يوجد إلا في الإنجيل بحسب مرقس (٣ : ١٧). وهناك إشارات أخرى عديدة تؤيد كلها الإجماع العام على أن الإنجيل بحسب مرقس هو رواية بطرس، أو كما يقول يستينس ((مذكرات بطرس)) .

والطريق الثالثة عن الإسكندرية. ومن المعروف أن مرقس نفسه كان أول أسقف على الإسكندرية. فقد نقل لنا أكليمنضوس الإسكندري، في أواخر القرن الثاني، وهو مؤسس الكلية المسيحية فيها، وممثل التراث المسيحي فيها، قال^١ : ((إن مرقس، بناءً على طلب المؤمنين برومة كتب الإنجيل بحسب رواية بطرس؛ وبطرس، كما يقولون، عرف ذلك بوحي من الروح القدس، فأيد

(١) أفساببوس : تاريخ الكنيسة ك : ٢ ف ١٥ ع ٢.

الإنجيل بحسب مرقس هو رواية بطرس الرسول ٢٥

بسلطانه تلاوته في الكنائس)) وقال أيضاً^١: ((إن بطرس، لمّا علم بذلك (حين التدوين) لم يتدخل لمنعه ولا لحمله على ذلك)) . وقال أيضاً^٢: ((إن مرقس كتب الإنجيل بحسب رواية بطرس، بينما كان بطرس يبشر به في رومة)) وهذه الرواية الإسكندرية المتواترة عن مرقس، نقلها أيضاً العلامة أورجين^٣ في مطلع القرن الثالث.

فالرواية الإسكندرية مطابقة للرواية السورية، لا تختلف عنها إلا في زمن التدوين : فالإسكندرية تقول إن التدوين كان على حياة الرسول بطرس، والسورية تقول أنه كان بعد وفاته، كما سنرى. وهذا خلاف بسيط لا يمس جوهر الحقيقة أن الإنجيل بحسب مرقس هو رواية بطرس.

والطريق الرابعة هي الرواية الرومانية مصدر الروايات الرسولية كلها في مصدر الإنجيل بحسب مرقس.

عرفنا الرواية الرومانية بواسطة ايريناوس المشرقي، ثم يستينوس الفلسطيني الذي علم وكتب في رومة. وفي القرن الثالث نعرفها بواسطة ((قانون)) الكتب المنزلة المتداولة في رومة، المعروف باسم **قانون موراتوري**^٤ الذي يذكر أن الإنجيل الثاني هو الإنجيل بحسب مرقس. وشهادة هذا القانون أساسية لأنه قانون رومة في الكتب المنزلة.

ونعرف الرواية الرومانية والشرقية معاً في القرن الرابع، بواسطة العلامة **جيروم** الروماني وناسك بيت لحم، الذي طاف على مصادر العلم المسيحي كلها في

(١) أفسابيوس : تاريخ الكنيسة ك ٦ ف ١٤ ع ٥ — ٧.

(٢) في تفسير رسالة بطرس الأولى (٥ : ١٣) .

(٣) أفسابيوس : تاريخ الكنيسة ك ٦ ف ٢٥ ع ٥ .

(٤) قابل لاغرنج : التاريخ القديم لقانون العهد الجديد ص ١٨ .

الشرق والغرب. قال^١ : ((والثاني مرقس، ترجمان الرسول بطرس، وأول أسقف على مدينة الإسكندرية، لم يتبع بذاته الرب، لكنه نقل رواية معلمه، معتمداً الدقة أكثر من الترتيب)) . ثم قال أيضاً ناقلاً شهادة أكليمنضوس الإسكندري كما دونها أفسابيوس : ((مرقس، ترجمان بطرس، دون الإنجيل بناءً على طلب المؤمنين برومة. ولمّا علم بطرس بذلك وافق عليه وأيده بسلطانه للتلاوة في الكنائس)) .

وجاء في مطلع القرن الرابع، العلامة أفسابيوس، مطران قيصرية فلسطين، والقيّم على مكتبها التي كانت تشمل مؤلفات الأقدمين، فنقل لنا منها الاستشهادات التي نأخذها عنه في مصادر الوحي الإنجيلي. واستجمع شهاداتهم بقوله : ((إن المستمعين لبطرس، الذي لمع في نفوسهم بهاء التقوى، لم يكتفوا بسماعه مرة واحدة، ولا بقبول الرسالة الإلهية في التعليم الشفوي؛ فتوسلوا بكل أنواع الإلحاح إلى مرقس الذي وصفنا إنجيله، وكان مرافقاً لبطرس، أن يضع لهم وثيقة مكتوبة فيها التعليم الذي تبلغوه شفويّاً. ولم يكفوا عنه حتى اضطروا مرقس، فكانوا سبب تدوين الإنجيل بحسب مرقس. وقيل : إن الرسول عرف الأمر بوحى الروح، ففرح من رغبة أولئك الرجال، وثبت الكتاب للتلاوة في الكنائس)) .

وهكذا تُجمع الآثار والأخبار بالتواتر والإسناد الصحيح غير المنقطع أن الإنجيل بحسب مرقس هو رواية بطرس الرسول، بواسطة ((ترجمانه)) مرقس، كما تؤيده قرائن الإنجيل نفسه.



(١) جيروم : في المقدمة لتفسير متى. قابل مجموعة الآباء اللاتين ك ٢٦ ص ١٨ .
(٢) جيروم : كتاب مشاهير الرجال ٨ قابل أفسابيوس : تاريخ الكنيسة ك ٢ ف ١٥ ع ٢ .

بحث ثان

قرائن الإنجيل تدل على أنه رواية بطرس الرسول

نقل لنا سفر أعمال الرسل نماذجاً لخطابات بطرس في أورشليم للدعوة المسيحية البكر. فقد **خطب الدعوة** وحدد رسالة المسيح ((منذ المعمودية يوحنا إلى اليوم الذي فيه ارتفع (الرب يسوع) عنا)) (١ : ٢٢). وعين هدفها بقوله في البلاغ الأول لليهود : ((فليعلم إذن يقيناً جميع بني إسرائيل أن الله قد جعل يسوع، هذا الذي صلبتموه أنتم، رباً ومسيحاً)) (أع ٢ : ٣٦) ...

وأوجز دعوة المسيح، في خطابه لهداية القائد الروماني كورنيليوس :

((لقد أرسل الله الكلمة إلى بني إسرائيل، مبشراً بالسلام بيسوع المسيح الذي هو رب العالمين. وأنتم تعلمون بما قد جرى في كل اليهودية، ابتداءً من الجليل بعد المعمودية التي دعا إليها يوحنا، كيف مسح الله بالروح القدس والقدرة يسوع الناصري الذي اجتاز وهو ينثر الإحسان، ويبرئ جميع الذين أرهقهم الشيطان، لأن الله كان معه. ونحن شهود بكل ما صنع في أرض اليهود وفي أورشليم، وكيف قتلوه بتعليقه على خشبة! فهو الذي أقامه الله في اليوم الثالث، وأتاه أن يظهر، لا للشعب كله، بل لشهود قد اصطفاهم من قبل، لنا نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من بين الأموات. وقد أوصانا أن ندعو به بين الناس، ونشهد بأنه هو الذي أقامه الله دياناً للأحياء والأموات! وله يشهد أيضاً جميع الأنبياء بأن كل من يؤمن به ينال غفران الخطايا)) (أع ١٠ : ٣٦ - ٤٣).

وهذه الدعوة بأورشليم دعا بها بطرس في رومة، في عرضها وجدليتها الفطرية بمعجزات المسيح وشهادات الأنبياء وشهادة الرسل في دعوته وقيامته : فسيرة المسيح ودعوته برهان على أنه ((رب العالمين)) و ((ملك يوم الدين)) ، والسلام والغفران باسمه.

١ — والإنجيل بحسب مرقس إن هو إلا تفصيل لشهادة بطرس ودعوته فهو ((إنجيل يسوع المسيح، ابن الله)) (١ : ١)؛ وقوله : ((ابن الله)) تعبير يفهمه الرومان، وهو أضعف من قوله : ((رب العالمين)) و ((ملك يوم الدين)) الذي يؤكد إلهيته بتعبيرين لا مجال فيهما لريب أو شك.

وبرهان رسالة المسيح وشخصيته قائم أيضاً في الإنجيل بحسب مرقس على أعمال المسيح المعجزة في الإنسان والطبيعة والكون، وعلى قيامته معجزة المعجزات. وتأتي شهادة الأنبياء عابرة للتأكيد، كما في الإنجيل. فلا يركز الرسالة عليها مثل متى.

والإنجيل هو شهادة الشاهد العيان الذي ((أكل وشرب)) مع المسيح بعد قيامته، كما من قبل. ويركز شهادته على أن يسوع الناصري قد جعله الله ((رباً ومسياً)) بصلبه وقيامته. وهذا هو الإنجيل بحسب مرقس.

٢ — والقرائن فيه تدل على أنه رواية بطرس. فأخبار بطرس فيه أكثر من غيره، فهو لسان حال الرسل (١ : ٢٩ — ٣١ ؛ ١ : ٣٦ ؛ ٣ : ١٦ ؛ ٥ : ٣٧ ؛ ٨ : ٢٩ ، ٣٢ — ٣٣ ؛ ٩ : ٢ — ٨ ؛ ١٤ : ٣٣ ؛ ١٤ : ٣٧)؛ وهو أول الثلاثة المقربين مع ابني زبدى، لمشاهدة الأحداث العظام مثل التجلي والنزاع. أجل يذكر أوليته بين الرسل (١ : ١٦) لكنه لا ينقل ما نقل متى من تفضيل الرب له في جعله صخرة الكنيسة، وذلك لتواضع بطرس في السكوت عمّا يتحدث به الجميع؛ إنما ينقل توبيخ الرب له ونعته ((بالشيطان)) (٨ : ٣٣) لأنه لم يفهم سر الصليب وأخذ يحول يسوع عنه! كذلك فإنه يدقق في جحود

بطرس ليسوع أثناء محاكمته، أكثر من سائر الأناجيل، وينفرد بقول الرب له : ((قبل أن يصيح الديك مرتين تتكرني أنت ثلاث مرات)) ! (١٤ : ٣٠ ثم ٦٦ — ٧٢). فسكوت الإنجيل عن أمجاد بطرس، كالسير على ماء البحيرة مع المسيح (متى ١٤ : ٢٨ — ٣١)، مع التركيز على ذكر هفواته دليل على أن الإنجيل بحسب مرقس هو رواية بطرس. هذا ما يُنتظر من سلوك الرسول الإمام.

٣ — واللقطات الواقعية في شهادة بطرس لمشاهداته ومدخلاته في سيرة المسيح تشهد أيضاً أنه رواية بطرس، مثل قوله : ((فانطلق سمعان ومن معه في طلبه)) (١ : ٣٦) — فهو لا يسميه بعد بطرس؛ وقوله : ((فاجتذبه بطرس إليه وطفق يجره؛ أما هو فالتفت ونظر إلى تلاميذه وزجر بطرس، وقال له : إليك عني يا شيطان ...)) (٨ : ٣٢ — ٣٣)؛ وقوله : ((فتذكر بطرس وقال له : رابي تطلع؛ إن التينة التي لعنتها قد يبست)) ! (١١ : ٢١)؛ وقوله : ((ولما جلس على جبل الزيتون قبالة الهيكل، سأله بطرس ويعقوب ويوحنا واندراوس، على حدة، قالوا : قل لنا متى يكون هذا ... ؟)) (١٣ : ٣)؛ وقوله : ((ثم جاء فوجدهم نائمين فقال لبطرس : أنتام يا سمعان ؟ أولم تقدر أن تسهر معي ساعة واحدة)) ؟ (١٤ : ٣٧)؛ وقوله : ((وتبعه بطرس من بعيد إلى الداخل، في دار رئيس الكهنة، وجلس مع الخدام قرب النار يصطلي)) (١٤ : ٥٤)؛ ثم يصور جحود بطرس ليسوع بسبب جارية تلاحقه في فسحة الدار ثم ((في الدهليز)) (١٤ : ٦٦ — ٧٢). إنها كلها شهادات ومشاهدات الشاهد العيان.

٤ — أسلوب الإنجيل القصصي في واقعيته وحيويته هو أيضاً أسلوب الشاهد العيان، ابن الشعب، الذي يشترك في الأحداث. الإنجيل بحسب مرقس يعد ٧٤٦ آية، بينما متى يعدّ ١٠٦٨ ولوقا ١١٤٠؛ لكن مرقس في القصص المشتركة هو أكثر تفصيلاً منهما، وأدق ملاحظة للأشياء التي قد لا تفيد سير القصة، لكنها تجعلها واقعية محسوسة. قابل مثلاً قصة إحياء ابنة يائير، مع المعجزة

المعتزلة لنازفة الدم (مر ٥ : ٢١ — ٤٣؛ متى ٦ : ١٨ — ٢٦؛ لوقا ٨ : ٤٠ — ٥٦).
فمرقس يسهب في القصة لأجل القصة، بينما لوقا يوجز ما يخص التاريخ، ومتى لا يحفظ
منها إلا ما له دلالة كلامية.

وهناك قرينة أخرى من الأسلوب القصصي : تبدأ الجملة بالجمع، وتنتهي بالمفرد، أو
بالعكس تبدأ بالمفرد وتنتهي بالجمع، كقوله : ((وأتوا كفرناحوم، وفي الحال يوم السبت دخل
المجمع وأخذ يعلم)) (١ : ٢١)، فنقل الإنجيلي الخطاب من الحاضر على لسان بطرس إلى
الغيبية، رواية عنه، كأنه يقول : ((وأتينا كفرناحوم وفي الحال يوم السبت دخل المجمع وأخذ
يعلم)) . (١ : ٢١)، وهذا يتكرر نحو عشرين مرة. وهذا أسلوب الرواية الشخصية.

٥ — إنشاء الإنجيل بحسب مرقس هو إنشاء محدث شعبي، كما نتخيل بطرس الصياد
الذي صار داعية للمسيح؛ وليس إنشاء المؤرخ مثل لوقا، ولا المتكلم مثل متى. فهو يترك
الحديث يجري على سجيته، بواقعيته وطبعيته، دون تصنع ولا تفنن في الخطاب؛ فلا يقود
الحديث لدلالة تاريخية مقصودة، ولا لدلالة كلامية مبتغاة، كأنه رواية ((شاهد العيان، قليل
الثقافة)) . وهذا هو بطرس، كما نعرفه من إجماع المصادر الإنجيلية.

٦ — عرفنا أن الإنجيل بحسب مرقس دون لأجل المؤمنين من الرومانيين. وفي الواقع
نراه موجهاً لغير اليهود، إلى الرومانيين. فهو بخلاف متى يتجنب ذكر العادات اليهودية، وإذا
ذكرها فهو يفسر التعابير الأرامية اليهودية (٣ : ١٧؛ ٥ : ٤١؛ ٧ : ١١؛ ١٥ : ٢٢ و ٢٣)،
ويفسر العادات اليهودية (٧ : ٣ — ٤ : ١٤؛ ١٢ : ١٥؛ ٤٢ : ٤٢). فيضع كلمة ((نهر)) قبل
الأردن؛

(١) لاغرنج : تفسير الإنجيل بحسب مرقس. المقدمة ٧٩.

قرائن الإنجيل ... ٣١

ويفسر كلمة ((القربان)) (١٧ : ١١) وكلمة ((تهيئة)) السبت (١٥ : ٤٢) وكلمة ((أيدي مدنسة أي غير مغسولة)) (٧ : ٣ و ٤).

٧ — ودليل البيئة الرومانية أنه ينقل بعض التعبيرات اللاتينية بلغة يونانية (٦ : ٢٧ ؛ ٦ : ٣٧ ؛ ٩ : ١٥ ؛ ١٢ : ١٥ ؛ ١٢ : ٤٢ ؛ ١٥ : ٣٩ ؛ ٤٤ و ٤٥) وقد يضطر إلى شرح بعض التعبيرات اليونانية الدارجة في الشرق بمرادفات لاتينية (١٢ : ٤٢ ؛ ١٥ : ١٦) : هذا في التعبير. وفي التفكير والأسلوب، فهو يعمد لتبيان شخصية المسيح إلى بيان سلطانه الإلهي بأعماله المعجزة وسيطرته المطلقة على الطبيعة والبشرية والشياطين والملائكة والحياة والموت.

هذا هو ابن الله الحقيقي، في البلاغ إلى الرومانيين.

فالقرائن الذاتية تؤيد شهادة السنة المسيحية في الآثار والأخبار أن الإنجيل بحسب مرقس هو رواية بطرس بواسطة روايته مرقس، ((ابني)) (١ بط ٥ : ١٧).



بحث ثالث

سيرة مرقس وشخصيته

مرقس شخصية معروفة في مصادر الوحي الإنجيلي. يرد اسمه في سفر الأعمال : مرقس (١٥ : ٣٩) أو يوحنا (١٤ : ٥ و ١٣) أو يوحنا - مرقس (١٢ : ١٢ و ٢٥ ؛ ١٥ : ٣٧). والإجماع على أن المسمّى واحد، وهو صاحب الإنجيل.

وقد جرت العادة بين اليهود تحت الحكم اليوناني والسوري والروماني أن يحمل امرء اسمين : أحدهما قومي، والآخر أجنبي، بحسب لغة المستعمرين. وقد يسمّى بأحدهما أو بكليهما معاً، كما هو الحال مع يوحنا - مرقس، وكما كان الحال مع سمعان بطرس ومع لاوي متى، ومع شاول بولس.

ومرقس هو ابن تلك النبيلة مريم، أخت برنابا، التي قدمت بيتها للكنيسة في مهدها، حيث كان المسيحيون يجتمعون للصلاة وكسر الخبز والتداول في أمورهم. فإننا نرى عام ٤٤ بطرس، بعد خروجه بمعجزة من السجن ((يتوجه بعد التفكير إلى بيت مريم، أم يوحنا الملقب مرقس، حيث كان كثيرون مجتمعين يصلون)) (أع ١٢ : ١٣).

ويرى بعضهم أن المسيحيين إنما اتبعوا في اختيار بيت مريم للصلاة وتقديم القربان خطة يسوع نفسه، فقد يكون صنع العشاء السري في بيتها. وهذا يفسر

وجود ((الشاب)) مرقس ابنها بين التلاميذ عند توقيف يسوع في بستان الزيتون : ((فأمسكوه، فترك الإزار وفرَّ عرياناً)) (مر ١٤ : ٥١ - ٥٢).

ومريم تلك النبيلة الوجيئة كانت أخت برنابا الزعيم المسيحي الذي ((كان له حقل فباعه وأتى بثمنه وألقاه عند أقدام الرسل)) لإغاثة المحتاجين من المسيحيين (أع ٤ : ٣٦ - ٣٧)؛ والذي كفل بولس بعد هدايته المعجزة لدى الرسل (أع ٩ : ٢٧)؛ والذي بعد مدة، بصفته رئيس الرسالة المسيحية في إنطاكية (أع ١١ : ٢٢ - ٢٤) ذهب إلى طرسوس واستحضر بولس للدعوة معه في إنطاكية سنة كاملة، ((فعلمًا جمعاً غيراً)) (أع ١١ : ٢٥ - ٢٦)؛ والذي بإيعاز رباني سيم وإياه أسقفين رسولين للدعوة بين الأمم (أع ١٣ : ١ - ٣)، فاشترك بولس مع برنابا في الرسالة الأولى (أع ١٣ : ٤ - ١٤ : ٢٨) فتلك الزمالة في الرسالة تدل على أن برنابا كان من مستوى بولس.

وتلك الوجاهة والثقافة في بيت برنابا وأخته مريم، بيئة مرقس العائلية، توحيان بحسب مرقس ونسبه وثقافته الإسرائيلية واليونانية، الكتابية والهلنستية. واعتماد بطرس زعيم الرسل على مرقس كترجمان له في الدعوة والكتابة بين العالم الإغريقي والروماني، دليل على ثقافة مرقس الوافرة. وإذا لم تظهر آثار ثقافته في تدوين الإنجيل بحسب مرقس، فذلك إنما هو برهان على صدق روايته للإنجيل كما كان يدعو به بطرس : فهو رواية بطرس، لا رواية مرقس.

فقد ربطت المحبة المسيحية بين بطرس وذلك البيت الكريم. وفي تردّد بطرس عليه تمت هداية مرقس وثقافته المسيحية، فعمّده بطرس واستخلصه معيناً ورفيقاً وترجماناً. ورافقه في دعوته باليهودية.

فهل كان مرقس من ((تلاميذ)) المسيح، أثناء الدعوة بالإنجيل ؟ من المشهور أن مرقس لم يتبع يسوع على حياته، كما نقل لنا بابيلاس، ربما لحدثته أثناء

رسالة المسيح. لكنه إذا لم يكن من ((التابعين)) ، فهذا لا يعني أنه لم يكن من ((التلاميذ)) ، وكان بيت أمه مؤثلاً ليسوع حين تردده على أورشليم، وقد يكون صنع العشاء السري في بيتها. ويرى كثيرون في ((الشاب)) الذي يذكره مرقس وحده، حين القبض على يسوع، مرقس نفسه (١٤ : ٥١ - ٥٢). لم يكن وجوده في العشاء وفي الأحاديث السامية التي دارت بعد العشاء، وفي بستان الزيتون، تطفلاً من شاب بل سماعاً من متلمذ أيضاً. لذلك يذكر أبيفان^١ أنه كان ((تلميذاً)) للمسيح.

وتبع مرقس خاله برنابا إلى إنطاكية. ولما باشر برنابا وبولس الرسالة الأولى ((كان يوحنا^٢ معهما مساعداً)) (أع ١٣ : ٥). فرافقهما في الرحلة حتى بمفيليا في آسيا الصغرى؛ لكن لأسباب نجهلها تركهما هناك وعاد إلى أورشليم (أع ١٣ : ١٣). ربما فضل مرقس العمل مع بطرس، على العمل مع بولس. فاستاء بولس لتراجع مرقس. لذلك بعد مجمع الرسل بأورشليم عام ٤٩، لمّا عزم بولس وبرنابا على الرحلة الثانية للرسالة، أراد برنابا أن يصطحب مرقس معهما، فعارض بولس واشتدت المعارضة بسبب مرقس حتى افترق الرسولان الأخوان. فذهب برنابا ومرقس إلى قبرص عام ٥١ (١٥ : ٣٦ - ٣٩).

ويظهر أن مرقس صحب بطرس في دعوته بين ((المغتربين في الشتات، في البنطس وغلطية وكبادوكية وآسيا وبيثينية)) كما في عنوان رسالة بطرس الأولى إليهم، وهو في طريقه إلى رومة. وفي هذه الرسالة ليس من سلام فيها من أحد إليهم إلا من ((مرقس ابني)) (١ بطر ٥ : ١٣). وهذا يدل أولاً على أن مرقس قد عرفهم وصحب بطرس في دعوته عندهم ما بين عام ٥٢ - ٦٠؛ وثانياً أن مرقس كان إلى جانب بطرس في دعوته برومة عام ٦١ - ٦٤، كما كان فيها إلى جانب بولس في أسره الأول (كول ٤ : ١٠؛ فيلمون ٢٤) من المدة ذاتها.

(١) الشامل في الهرطقات، في مجموعة الآباء اليونان ك ٤١ ص ٨٠ م.
(٢) يوحنا اسم مرقس القومي.

وينقل لنا جيروم^١ وأفسابيوس^٢ التقليد الموروث بأن مرقس هو مؤسس الكرسي الرسولي في الإسكندرية، حيث كان تقيم عائلة خاله برنابا. وهناك من يشك في ذلك لأن أكليمنضوس الإسكندري وأوريجين لا يذكران ذلك. ولكن برهان ((ما سكّت عنه)) ليس دائماً ببرهان. وينقل أفسابيوس في تاريخ الكنيسة (ص ٢١٤) أن مرقس قدم الإسكندرية في أوائل حكم كلوديوس (٤٢ — ٥٤)؛ ويذكر جيروم أنّ حنانيا خلف مرقس على كرسي الإسكندرية في السنة السابعة من حكم نيرون (٥٤ — ٦٨) أي عام ٦١. فتكون رسالة مرقس في الإسكندرية قد تمت ما بين عام ٥٢ — ٦١، بعد رحلته مع خاله إلى قبرص عام ٥١. وبما أنه كان مع بطرس في آسيا الصغرى ما بين عام ٥٢ — ٦٠، فيكون مرقس قد تردّد على الإسكندرية بأمر بطرس، ومن عنده، قبل بلوغ بطرس إلى رومة.

ونعرف من رسالة بولس (كول ٤ : ١٠؛ فيلمون ٢٤)، ومن رسالة بطرس الأولى (٥ : ١٣) أن مرقس كان مع الرسولين في رومة عام ٦١ — ٦٤. في هذه الحقبة كان يعاون بولس في أمر ملكوت الله (كول ٤ : ١٠ — ١١)، ويدوّن الإنجيل من رواية بطرس، إن صح أنه كتبه على حياته؛ وهو الأصح.

ويقول بولس إلى أهل كولسي عام ٦٣ : ((يسلم عليكم ... مرقس، نسيب برنابا، الذي أخذتم في حقه وصايات، فإذا ما قدم إليكم فاقبلوه)) (كول ٤ : ١٠). وربما أوفده بولس مع تيخيكس إلى افسس وكولوسي وإيرابليس بسبب الغنوص اليهودية التي تسربت إليها. فيكون مرقس الرسول السفير لبولس، كما كان الرسول السفير لبطرس.

ربما كان مرقس في سفارته عندما استشهد بطرس عام ٦٤. ونراه في رسالته

(١) في مشاهير الرجال ٨ قابل الآباء اللاتين ك ٢٣ ص ٦٢٠ — ٦٢٣.

(٢) مجموعة الآباء اليونان ك ٢٠ ص ١٧٣.

بأسيا الصغرى يتردد على كنائس بولس الهلنينية فيها (كول ٤ : ١٠) وعلى كنائس بطرس العبرانية فيها (١ بطر ١ : ١ ؛ ٥ : ١٣)، عندما استدعاه بولس مع تيموثاوس إليه، قبل استشهاده عام ٦٧ : « اجتهد (ياتيموثاوس) أن تقدم إليّ عاجلاً ... معي لوقا وحده، فاستصحب مرقس وأقدم به، فإنه ينفعي للخدمة » (٢ تيم ٤ : ٦ و ١١). فهذه المنفعة في الخدمة تدل على سمعة مرقس الطيبة بين الرومانيين، بسبب تدوين الإنجيل لهم.

وبعد استشهاد بولس عام ٦٧ قد يكون رجوع إلى الإسكندرية، ووسع الرسالة المسيحية في أفريقيا حتى ليبيا و (البنتابوليس) أي المدن الخمس الإفريقية حتى مراكش.

وقيل إنه مات شهيداً قبل العام ٧٠ فقد أوقف في عيد (سيرابيس) وُعِدّب، وحُبس ليلة واحدة، مات فيها على أثر عذاباته.

تلك هي سيرة مرقس وثقافته وشخصيته.

فمرقس هو تابع بطرس (وترجمانه) في دعوته. وقد صحبه في فلسطين وفي سوريا وآسية الرومانية وفي رومة. وفي تلك الرحلات الرسولية كان الإنجيل بحسب رواية بطرس قد اكتسب أسلوبه الخاص، من واقعية في النقل، وحيوية في العرض، لكن مع شيء من الروتينية في التفكير والتعبير، لتكرار وترديد الإنجيل نفسه في الأوساط المختلفة. وهذا هو الإنجيل بحسب مرقس، رواية بطرس. ونظراً لثقافة مرقس التي لا تظهر في الإنجيل، فأسلوب الرواية فيه دليل على الأمانة في النقل وعلى صحة الرواية.

أجل لم يكن مرقس شاهد عيان للدعوة الإنجيلية كلها في كل أزمانها^١.

(١) ونرجع أنه كان شاهد عيان للدعوة الأخيرة في اليهودية وخصوصاً في أورشليم ولأحداث الصلب والقيامة والصعود إلى السماء ونزول الروح القدس، وهذا سبب وحدة الهدف بينه وبين يوحنا : المسيح ابن الله .

لكن صحبته مدة خمسة وعشرين عاماً لبطرس تجعل منه ثقة في الرواية عن زعيم الرسل، شاهد العيان الأول.

ومرقس قد صحب بولس على فترات؛ وفي زمن تدوين الإنجيل ما بين العام ٦١ – ٦٧، سواء كان قبل استشهاد بطرس عام ٦٤ أم بعده، كان مرقس إلى جانب بولس في أسره الأول والثاني برومة. مع ذلك لا يعبر من نظريات بولس الخاصة شيء إلى الإنجيل بحسب مرقس، سوى بعض التعبيرات التي كان تراثاً مشتركاً في الكلام المسيحي الناشئ، أكثر منها تعابير بولسية خاصة. وهذا شاهد آخر على صحة الإنجيل بحسب مرقس، عن رواية بطرس.

ومن الاتصال المزدوج ببطرس وبولس تظهر شخصية مرقس الفذة من خلال الإنجيل. فهو يتوارى وراء رواية بطرس للإنجيل، لكن الإنجيل بحسب مرقس جاء قصصاً تاريخياً بيني عقيدة : فهو ((إنجيل يسوع المسيح، ابن الله)) (١ : ١).



بحث رابع

زمن تدوين الإنجيل بحسب مرقس

من الواقع المشاهد في الإنجيل، تؤيده أخبار السلف الصالح، أن الإنجيل بحسب مرقس دُوّن قبل السنة السبعين، عام خراب أورشليم والهيكل، عنوان مجد الأمة والدولة والدين.

ومن يُحاول تأخير زمن تدوين الإنجيل إلى ما بعد السنة السبعين، فهو يعتمد على إشارة في خطاب المسيح عن مصير الملكوت : ((ولا بدّ من قبل أن يدعى بالإنجيل في جميع الأمم)) (مرقس : ١٣ : ١٠)، كأن نبوءة المسيح تسجيل واقع تاريخي، لا نبوءة. وفاتهم أن الإنجيل دُوّن في رومة بعد أن انتشرت الدعوة المسيحية في ((المسكونة)) كلها، وتخطتها إلى أقطار أخرى. والإشارة الأخرى : ((فالذين في اليهودية فليهربوا إلى الجبال)) (١٣ : ١٤) دليل على أن التدوين قد تم قبل الحرب السبعينية، لأن النصارى في أورشليم قد هربوا من الحصار إلى سهول شرق الأردن في بلدة ((بِلّة))، متخطّين الجبال. ثم أن الكلام في مصير ملكوت الله لا يميّز عند مرقس بين أخرة أورشليم ونهاية العالم. فالإنجيل بحسب مرقس قد دُوّن قبل السنة السبعين كما أجمعت أنفاً الأخبار والآثار.

وهناك روايتان على الزمن المحدود في تدوين الإنجيل :

الرواية السورية وعمدتها بابياس وايريناوس^١ أن أهل رومة طلبوا من مرقس، ترجمان بطرس، تدوين الإنجيل لهم بعد استشهاد بطرس.

(١) قابل أفسابيروس : تاريخ الكنيسة ك ٢ ف ١٥؛ ك ٦ ف ١٤.

والرواية الإسكندرية نقلها أكليمنضوس وأوريجين، وسجلها أيضاً أفسابيوس^١ : إن مرقس دوّن الإنجيل على حياة معلمه بطرس.

وجيروم، ناسك بيت لحم العلامة، ينقل الروايتين ولا يفصل بينهما.

ونميل إلى ترجيح الرواية الإسكندرية، لأنها تستند بالتواتر إلى مرقس نفسه، مؤسس الكرسي الإسكندري. ولعلنا نجد في استدعاء بولس لمرقس عام ٦٧ ((لأنه ينفعني في الخدمة)) (٢ تيم ٤ : ١١) دليلاً على انتشار الإنجيل بحسب مرقس بين الرومانيين، وعلى توطيد سمعة مرقس فيما بينهم، وبالتالي على تدوين الإنجيل على حياة بطرس : فلولا شهرة مرقس في الأوساط الرومانية بتدوين الإنجيل، لما ألحَّ بولس في استحضاره، وهو الذي تعودّ ألاً يعولّ على أحد في رسالته وحياته.

وهناك دليل آخر يساعدنا على تحديد الزمن : إن الإنجيل بحسب لوقا يستخدم الإنجيل بحسب مرقس. ونعرف أن لوقا انتهى من تدوين الإنجيل وأعمال الرسل — وهما كتاب واحد في جزئين — وبولس في نهاية أسره الأول برومة عام ٦٣، فيكون الإنجيل بحسب مرقس من عام ٦١ — ٦٣.

فتدوين الإنجيل بحسب مرقس قد تم في عهد الرسل، وهو رواية الرسول ((الأول^٢)) (متى ١٠ : ٢) والشاهد العيان الممتاز. فرسولية الإنجيل قائمة أيضاً في زمن تدوينه.



(١) قابل أفسابيوس : تاريخ الكنيسة ك ٢ ف ١٥؛ ك ٦ ف ١٤ .
(٢) هذه الصفة ((الأول)) يذكرها متى، ولا يذكرها مرقس، لتواضع بطرس راوية الإنجيل.

بحث خامس

بيئة الإنجيل بحسب مرقس

مكان تدوين الإنجيل تتنازعه ثلاثة آراء.

ذهب الفم الذهبي وحده إلى أن التدوين تمَّ في الإسكندرية، لأن مرقس، بحسب التقليد المتواتر، كان مؤسس الكرسي الإسكندري وقد أنهى حياته في الإسكندرية. وهذا الرأي الفريد هو على خلاف الإجماع؛ وقد وهم فيه الفم الذهبي الذي لا يخطأ حدسه عادة.

وجعل بعضهم أيضاً مكان التدوين في إنطاكية، لأنها كرسي بطرس الأول، كما هو مشهور. ((والمشرق)) الذي تأتينا منه، نقلاً عن يوحنا الرسول، الشهادة على نسبة الإنجيل إلى مرقس، بحسب رواية بطرس، ظل تابعاً كنسياً لإنطاكية الكنيسة الأم، حتى اليوم. ولهم أيضاً على ذلك بعض القرائن الذاتية من استعمال بعض التعابير الأرامية، دليل البيئة الأرامية. وفاتهم أن الأرامية هي لغة الإنجيل الأصلية التي نطق بها المسيح، فلا غرو أن يعبر منها شيء إلى الترجمة اليونانية. وذكره لسمعان القيرواني، ((أبي الاسكندر وروفس)) (مر ١٥ : ٢١) المعروفين في أورشليم، ثم في غيرها، ليس فيه كبير دلالة مكانية. بينما نزعة البرهنة بالإنجيل بحسب مرقس على إلهية يسوع من أعماله المعجزة هي أقرب إلى العقلية الرومانية منها إلى العقلية الهلنستية في اليونان وسوريا ومصر وهذا الرأي هو أيضاً على خلاف الإجماع.

فالإجماع قديماً وحديثاً أن تدوين الإنجيل بحسب مرقس قد تمَّ في رومة، بناءً على طلب الرومانيين أنفسهم، ليحفظ لهم تعليم المعلم الزعيم في المسيح.

والقرائن الذاتية دلالة أيضاً على صحة نسبته إلى البيئة الرومانية أسلوباً وتفكيراً وتعبيراً.

فهو ليس موجهاً إلى بيئة إسرائيلية مثل متى الذي يقيم الصلة بين الإنجيل والشريعة الموسوية (٥ : ١٧ — ١٩ : ١٠ ؛ ٥ : ١٩ ؛ ٩ : ٩) ويركز برهنته على مسيحية يسوع الإلهية من المعجزة، ومن النبؤات في الكتاب. فبرهان النبوة عند مرقس عابر. فلا يستشهد هو بالكتاب سوى مرتين في مطلع الدعوة لربط الإنجيل بالكتاب (١ : ٢) وحين القبض على يسوع لمحاكمته (١٤ : ١٩) للدلالة على أن ذلك بأمر ربّاني مكتوب. وهناك استشهاد ثالث في النسخ غير ثابت (١٥ : ٢٨). وما عدا ذلك، فكل الاستشهادات تأتي على لسان يسوع نفسه (٧ : ٦ ؛ ٩ : ١٢ ؛ ١٠ : ٤٠ ؛ ١١ : ١٧ ؛ ١٢ : ١٠ ؛ ٢٤ : ١٤ ؛ ٢١ : ٢٧) . وبعد ذكر الخلافات الخمسة مع اليهود في سنتهم، التي هي من صلب دعوة المسيح، فمرقس لا يهتم بتوجيه الدعوة لبني إسرائيل، إلا في تكفيرهم (١٢ : ٣٨ — ٤٠) .

لكن مرقس الذي يوجه الدعوة للأمة من الرومانيين، فهو يهتم بتفسير عوائد اليهود لهم (١ : ٣ ؛ ١٤ : ١٢ ؛ ١٥ : ٤٢) ، وبترجمة التعابير الأرامية لهم (٣ : ١٧ ؛ ٥ : ٤١ ؛ ٧ : ١١ ؛ ١٥ : ٢٢ و ٤٣) .

ودليل البيئة الرومانية أنه ينقل بعض التعابير اللاتينية بحرف يوناني (٦ : ٢٧ ؛ ٦ : ٣٧ ؛ ٩ : ١٥ ؛ ١٢ : ١٥ ؛ ١٢ : ٤٢ ؛ ١٥ : ٣٩ و ٤٤ و ٤٥) . وقد يضطر إلى تفسير بعض التعابير اليونانية الدارجة في الشرق بمرادفات لاتينية (١٢ : ٤٢ ؛ ١٥ : ١٦) . ونجد عنده أكثر من زميله بعض الألفاظ أو

التعابير اللاتينية التي أشاعتها السيطرة والحضارة الرومانيتين في العالم الهلنستي (٣ : ٦ ؛ ٥ : ٢٠ ؛ ٧ : ٢٦ ؛ ١٠ : ٤٦ ؛ ١٤ : ٦٤ و ٦٥ ؛ ١٥ : ١٥ و ١٩) وهذا كله دليل البيئة الرومانية.

ومرقس يعطي تفاصيل جغرافية كان متى بغنى عنها (١ : ١١ ؛ ٩ و ٥ : ١) ؛ ويهمل كلمات يسوع التي قد توحى باقتصار الدعوة المسيحية على بني إسرائيل بينما يفصل من مشاهدتها ما يجعلها موجهة للأمم أيضاً (٧ : ٢٧ ؛ ١٠ : ١٢ ؛ ١٢ : ١٧ ؛ ١٣ : ١٠) . وأسلوب البرهنة فيه على إلهية يسوع المسيح، كما رأينا، من أعمال يسوع المعجزة، في الطبيعة والإنسان والكون والحياة والموت، ومن سلطانه الإلهي على البشر والملائكة والشياطين، هذا كله دليل البيئة، ويناسب العقلية الرومانية والجبروت الروماني.

وهنا قد يتبادر إلى الذهن هذا الاعتراض : بما أن الإنجيل بحسب مرقس كتب في رومة، للرومانيين، فلماذا لم يكتب بلغتهم اللاتينية، بل وُضع باليونانية ؟ — إن السبب تاريخي: كانت اليونانية لغة الأدب والسياسة في رومة والعالم الإغريقي الروماني كله؛ وقد ظلت اليونانية لغة الكنيسة الرومانية حتى أواخر القرن الثالث. لذلك كان عرض الإنجيل في رومة، دعوة وكتابة، باللغة اليونانية؛ وهكذا تشمل المنفعة العالم الهلنستي، كله، عبر رومة والرومانيين.

فالقارئ الذاتية والآثار الباقية من الأخبار المتواترة، كل ذلك دلائل جامعة على أن الإنجيل بحسب مرقس قد دَوّن في بيئة لاتينية للأمة الرومانية. فجاء عرضاً تاريخياً للدفاع عن المسيحية في البيئة الرومانية والهلنستية.

فدرس الإنجيل وكتابه وبيئته كلها تدل على صحته الرسولية.

*

* *

الفصل الثّاني صحّة الإنجيل بحسب مرقس التّاريخيّة

- توطئة** : إنه قصة الحدث الأكبر والسرّ الأعظم التي تحيّر العقول.
- بحث أول** : قيل : الإنجيل عقيدة، ودفاع عنها، وتعليم لها، أكثر منه تاريخاً.
- بحث ثان** : هل من شبهات على الإنجيل بحسب مرقس نفسه ؟
- بحث ثالث** : شبهات ما بين التاريخ والإيمان.

[Blank Page]

توطئة :

إنه قصة الحدث الأكبر والسر الأعظم التي تحير العقول

صحة الإنجيل بحسب مرقس الرسولية دليل على صحته التاريخية.

ويعتبر العلماء من مؤمنين وغير مؤمنين أن الإنجيل بحسب مرقس أقرب الأناجيل إلى الواقع التاريخي : فليس فيه ما عند لوقا من تاريخ مرتب يبني عقيدة، ولا ما عند متى من كلام يبرهن على شخصية الرسول والرسالة، ولا ما عند يوحنا من صوفية تظهر سر المسيح ابن الله ورسالته الإلهية. فهو في نظر الجميع الرواية الأولى الفطرية لسيرة المسيح وصورة شخصيته وسر دعوته.

لذلك آثار بعضهم حول الإنجيل بحسب مرقس بعض الشبهات على صحته التاريخية. فأفرزنا لها هذا الفصل لنزينها بالقسطاس والعدل.

وكل الشبهات تصدر عن استغرابهم للحدث الأعظم وسر الشخصية التي تتخطى حدود البشرية.

الإنجيل بحسب مرقس كتيّب من صفحات معدودات، لكنه يروي قصة الحدث الأعظم في تاريخ البشرية. ففي ما قلّ ودلّ من سيرة المسيح، تبرز شخصيته الوحيدة ودعوته الفريدة.

والإنجيل بحسب مرقس قصة الدعوة الدينية الكبرى التي فيها سرّ الرسالة في سرّ الرسول. فهو ليس كغيره واسطة لرسالته؛ إنما هو غاية رسالته.

لكن تلك المظاهر في الدعوة الإنجيلية والسيرة المسيحية لا تمس تاريخيتهما في شيء، لأن الواقع الإنجيلي التاريخي فيهما أساس الدعوة، وسر الشخصية. وكل قارئ نزيه يشعر بالفطرة والطبيعة والواقعية والتاريخية في الإنجيل بحسب مرقس، وهو يروي قصة الحدث الأكبر والسر الأعظم في تاريخ البشرية.

*

* *

[Blank Page]

بحث أول

قيل : الإنجيل عقيدة، ودفاع عنها، وتعليم لها، أكثر منه تاريخاً

يقول بعضهم : إن الإنجيل، حتى الإنجيل بحسب مرقس، عقيدة، ودفاع عنها، وتعليم لها أكثر منه تاريخاً بحسب الأصول العلمية للتاريخ.

وفاتهم أن مفهوم الأقدمين للتاريخ غير مفهومنا الحديث : فما كانوا يُعنون بالناحية العلمية التي نعى نحن بها اليوم. وفاتهم أيضاً أن الإنجيل دعوة دينية فهو سيرة وعقيدة ودفاع عنها وتعليم لها. فإذا برزت تلك النواحي الأربعة في الدعوة الإنجيلية، فهذا لا يضير تاريخيتها في شيء، لأنه لا قيام لها بدون الواقع الإنجيلي التاريخي.

والآن نبحت الشبهات الثلاث بالتفصيل.

١- الشبهة الأولى : الإنجيل عقيدة أكثر منه تاريخاً

قيل : إن الإنجيل بحسب مرقس نفسه عرض عقيدة أكثر منه تاريخ سيرة؛ فهو منذ مطلعته يعرض غرضه : ((إنجيل يسوع المسيح ابن الله)) (١ : ١) : هذا الهدف ألا يسخر التاريخ للعقيدة ؟ فيسوع لم يصرح على حياته أنه المسيح، ولا أنه ابن الله، فاخترع مرقس، والجماعة التي وراءه، قصة ((سر المسيح)) المحجوب، الذي يأمر يسوع تلاميذه بإخفائه عن الشعب، ليفسر بطريقة مشبوهة لماذا لم يصرح يسوع على حياته أنه المسيح أو ابن الله.

أجل إن الإنجيل بحسب مرقس عرض عقيدة ((المسيح ابن الله)) ؛ لكنها عقيدة نابغة من سيرة المسيح ورسالته. — لذلك فهو الوثيقة التاريخية لصوفية الإنجيل بحسب يوحنا في سر ((المسيح ابن الله)) .

لقد فاتهم أن الإنجيل **سيرة نبوة ودعوة ورسالة**، ذروة الرسالات وقمة الدعوات وخاتمة النبؤات.

إنها رسالة ((الأيام الأخيرة)) ، دعوة الرسول الأعظم، نبوة النبي الأعظم، المسيح الموعود بأوصاف شتى منذ مئات السنين. لذلك لا تتفصل فيه السيرة عن الدعوة، ولا الرسول عن الرسالة : فهو سيرة ودعوة، تاريخ وعقيدة.

ولا يضير يسوع جحود اليهود ((لمسيحيته)) : فما قد انقضى ألفا سنة على زمن المسيح الموعود، ولم يظهر لهم، ويسوع قد أتمَّ في سيرته وفي دعوته كل أوصاف المسيح الموعود، ورسالته المعهودة؛ وجمع في شخصيته أوصاف المسيح الموعود المختلفة.

ونرى، في الإنجيل بحسب مرقس، أن العقيدة لا تغطي على السيرة : فهو ينقل أعمال يسوع أكثر من أقواله؛ وقد يشير إلى التعليم إشارة (١ : ٣٩ ؛ ٢ : ٢ و ١٣ ؛ ٤ : ١٢ ؛ ٦ : ٢ و ٦ ؛ ٦ : ٣٤ ؛ ١٠ : ١ ؛ ١١ : ١٠ ؛ ١٢ : ١ و ٥)؛ ويهمل خطبة يسوع التأسيسية على الجبل، لئلا يظن الرومانيون أن الإنجيل تبعَّ للتوراة؛ فلا ينقل من خطب المسيح سوى خطبتين، وبطريقة موجزة جداً : الخطاب بالأمثال (١٤ : ٣٤) والخطاب في اليوم الآخر (ف ١٣). فهو يروي الواقع الإنجيلي من نبوة ورسالة ودعوة **بإعجاز الإيجاز**، ولا يؤرخه مثل لوقا، ولا يفلسفه مثل متي، ولا يصوّفه مثل يوحنا. فإذا كان الواقع الإنجيلي يفوق المألوف والمأثور، فلا تغطي فيه العقيدة على التاريخ الصادق.

والشبهة تزول عندما نقارن عرض العقيدة الواحدة، إلهية يسوع، بين مرقس ويوحنا : فهي عند يوحنا مقصودة لذاتها، بينما هي عند مرقس الواقع

المذهل يرويه مرقس بقصص موجز فطري ينبض بالحياة والواقعية. فلا يشك بصدق الواقعية فيه إلا مغرض استحالة المعجزة واستحالة النبوة واستحالة الاتصال بالله، أو اتصال الله بنا : فتلك الافتراضات المبدئية قضية فلسفية، لا قضية تاريخية، فهي لا تصح ولا تقوم أمام الواقع مهما كان معجزاً.

الاعتراض الوحيد التاريخي هو في تفسير ما أسموه ((سرّ المسيح)) في الإنجيل بحسب مرقس. إن تحفظ يسوع في إعلان ((مسيحيتيه)) ، ثم في إعلان إلهيته، ليس خطة خلقها الإنجيلي، بل تحفظاً من يسوع نفسه، يمليه واقع أمته. فقد كان اليهود في زمن الحكم السوري فالروماني ينتظرون مسيحاً قومياً، ومجاهداً جريئاً، يرد الملك لإسرائيل ويفرض سيطرته على العالم. وما كان يسوع المسيح كذلك. ورسل المسيح كانوا من بيئتهم قبل تمام هدايتهم. هم الذين عايشوا الدعوة المسيحية وفهموها، يسألون يسوع قبل رفعه إلى السماء: ((أفي هذا الزمان تردّ الملك لإسرائيل ؟)) (أع ١ : ٦). فإذا كانت هذه حالة صحابة المسيح معه، حتى بعد القيامة، فكم بالحري حال اليهود ؟ وهم ما أنكروه إلا لأنه لم يكن كما يشتهون! فإعلان يسوع ((مسيحيتيه)) في دعوته يثير ثورة شعبية قومية سياسية ليس في مصلحة الأمة ولا من مصلحة الدعوة المسيحية. وقد حدث ذلك لابن كوكب عام ١٣٣، فادّعى أنه المسيح وأثارها ثورة عارمة في وجه الرومان، فكان سبب هلاك الأمة والدولة والمدينة المقدسة والهيكل. وإعلان يسوع ((إلهيته)) في بيئة التوحيد الخالص، منذ البدء، قد يكون قاضياً على الدعوة المسيحية في مهدها، لأن اليهود لما شعروا بادعاء يسوع الإلهية حاولوا مراراً اغتياله حتى تمكنوا منه فحاكموه على دعوته وقتلوه!

فليس تحفظ يسوع في إعلان ((سرّ)) شخصيته خطة من الإنجيلي، بل صورة صادقة للواقع التاريخي في الإنجيل. كان على يسوع أن يتحفظ كثيراً في إعلان مسيحيتيه، فلا يرد اسم ((المسيح)) على لسان يسوع أبداً، إلا في الأسبوع

الحاسم^١ وأكثر فأكثر في إعلان إلهيته، فيترك أعماله تبوح بسرّه، حتى يهتف الشعب عفواً : ((يا ابن داود ارحمنا)) ! ويهتف ((الذين أمامه والذين وراءه — يوم الشعانين — هوشعنا! مباركة مملكة أبينا داود الآتية! هوشعنا في الأعالي)) (مر ١١ : ٩ — ١٠)؛ وحتى يهتف الشياطين (مر ٣ : ١١) مثل الشعب : ((أنت ابن الله)) .

لذلك نلاحظ تطوراً ملموساً في الإنجيل للكشف عن ((سر المسيح)) . بدأ بإظهار ((مسيحيته)) بسلطانه الخارق على الطبيعة والناس والشيطان، حتى أقرب به الناس عفواً أنه ((ابن داود)) أي المسيح، واستدرج تلاميذه إلى خلوة خارج إسرائيل، في قيصرية فيلبس، بانياس الحالية، للشهادة أنه المسيح مع الأمر بالسكوت عنه (٨ : ٢٩ — ٣٠) . ثم أخذ للحال، ومدة سنة، يكشف لهم عن الناحية الثانية من سر ابن البشر : استشهاده وصلبه وقيامته (٨ : ٣٠ — ١٦ : ٨) . ولما أزفت الأيام الأخيرة، بدأ بأحد الشعانين يقدم نفسه للجماهير المحتشدة من كل الأقطار للفصح أنه المسيح، ابن داود وربّه معاً (١٢ : ٣٥ — ٣٧) . أخيراً يأتي الإعلان الصارخ في محاكمته الدينية والمدنية، بالقول الحق، في موقف الحق : يعلن للسندريين، مجلس القضاء اليهودي الأعلى، أنه ((المسيح ابن المبارك)) (١٤ : ٦١ — ٦٢) فحكموا عليه بالإعدام لإعلان إلهيته، وبنوته من الله (١٤ : ٦٤) ، كما حكم عليه الوالي الروماني بصفته ((ملك اليهود)) أي المسيح (١٥ : ٢٦) .

فأيد المسيح شهادته باستشهاده، وأيد الله الشهادة والاستشهاد بالقيامة والرفع إلى السماء . فإن كان الرومان حكموا عليه بالإعدام، بعد براءته، بصفته ((ملك اليهود)) أي المسيح؛ فاليهود حكموا عليه بالإعدام لادعائه أنه ((ابن

(١) وروده قبل ذلك على لسان يسوع في الآية الوحيدة (٦ : ٤١) قد يكون من الإنجيلي .

قيل : الإنجيل عقيدة، ... ٥١

الله ((أي ((ابن البشر الجالس عن يمين القدرة (أي الله) والآتي على سحاب السماء)) في مظاهر الله (١٥ : ٦٠ - ٦٥).

فإخفاء ((سر المسيح)) حتى النهاية، في الإنجيل بحسب مرقس، ليس تكتيكاً من الإنجيلي، وأسلوباً مفضوحاً لجعل يسوع ((مسيحاً ورباً)) ؛ بل هو الواقع التاريخي الذي تمليه بيئة اليهود الثائرة والموحدة، والذي سلكه المسيح مع بني قومه للكشف عن سر شخصيته دون إثارتهم وإثارة السلطة الرومانية قبل الأوان؛ وحتى يحقق الخبرَ الخبرُ، فتظهر مسيحيته وإلهيته من أعماله وأقواله وأحواله، قبل التصريح العلني بها، والاستشهاد في سبيلها، الذي أيده الله بالقيامة المجيدة، معجزة المعجزات.

فالإنجيل دعوة دينية أي عقيدة وسيرة؛ فهو تاريخ عقيدة، وعقيدة تاريخ : لم تخلق العقيدة التاريخ، بل التاريخ فرض العقيدة.

*

٢ - الشبهة الثانية : الإنجيل دفاع عن رسالة أكثر منه تاريخ رسول

قيل : إن الإنجيل بحسب مرقس نفسه دفاع عن المسيحية، أكثر منه تاريخ يسوع؛ ومحاولة مرقس إظهار إلهية يسوع من سيرته محاولة فاشلة، لأن بشرية يسوع فيه أظهر من إلهيته، كما يظهر ذلك من أحداث الرسالة، وسلوك الرسول.

يقولون : من هو ((ابن الله)) الذي يسمونه ((النجار، ابن مريم)) الذي ((يعرفون جميعهم أخوته وأخواته)) (٦ : ٣) ؟ الذي تتهمه عشيرته بالجنون والشذوذ في دعوته (٣ : ٢١) ؟ الذي في بلدته ((لم يستطع أن يصنع معجزة)) (٦ : ٥) ؟ والذي لم يسمح أن يسمى ((صالحاً، لأنه لا صالح إلا الله وحده)) (١٠ : ١١) ؟ أجل، من هو هذا ((ابن الله)) الذي يجهل يوم الدين (١٣ : ٣٢) والذي يعلن قبل موته على الصليب أن ((أباه تركه)) (١٥ : ٣٤) ؟

يقولون : بشريته ظاهرة من حياته وشخصيته؛ فهو يولد ويعيش ويموت! وهو مثل سائر البشر يأكل الطعام، ويتجول في الأسواق! وهو مثل سائر البشر ينظر ويسأل ليعرف (٥ : ٣٠؛ ٨ : ٥؛ ٩ : ١٦ — ٢١)، ويلتفت ليرى ما يجري حوله (٥ : ٣٢) ويشعر شعور البشر (٣ : ٥)؛ يتحنن (٦ : ٣٤؛ ٩ : ٢٢)؛ يتذمر (١٠ : ١٤)؛ يتهمك (١٤ : ٤١)؛ يود الشاب الصالح من النظرة الأولى (١٠ : ٢١) يلاطف الأطفال (١٠ : ١٦)؛ يتعلق بتلاميذه، مع قصورهم عن مجاراته. وهذه العواطف البشرية ليست فيه ظاهرة عابرة، إنما هي تتبع من كيانه وروحه (٢ : ٨) أو من نفسه (١٤ : ٣٤). وتصل به بشريته حتى الحزن البائس اليائس من مصيره، في بستان الزيتون، وتظهر إرادته غير إرادة الله ولو استسلم لها استسلاماً مطلقاً (١٤ : ٣٣ — ٣٤ و ٣٦). فالإنجيل بحسب مرقس دفاع عن رسالة أكثر منه تاريخ رسول بشر؛ ودفاعه عن بنوة يسوع الإلهية مكشوف لأن بشرية المسيح أظهر من إلهيته.

أجل بشرية المسيح قائمة في الإنجيل؛ وإلهيته قائمة أيضاً من خلال بشريته كما تجلّى ذلك من سلطانه ومن أحواله كما في التجلي على الجبل (٩ : ٢ — ٨). فسر المسيح، سر شخصيته، هو في هذه الثنائية القائمة في وحدة الذات : فهو « ابن مريم » (٦ : ٣) و « ابن المبارك » (١٤ : ٦١) أي « ابن داود وربه » معاً (١٢ : ٣٥ — ٣٧). والإنجيل بحسب مرقس شهادة لهذا الواقع التاريخي المزدوج.

لا ننكر الهدف الدفاعي في الإنجيل كله، حتى في الإنجيل بحسب مرقس. لكن الغاية الدفاعية هي في الغرض، لا في العرض؛ في الهدف المطلوب لا في الرواية والأسلوب. فصحة الرسالة تقوم على حقيقة الرسول، ولا وجود للمسيحية الحقّة بدون المسيح التاريخي الحق. فالإنجيل شهادة فرد في أمة، وشهادة أمة في فرد؛ لذلك فهو تاريخ الرسول، مسيح الله، قبل أن يكون عقيدة، أو كلاماً، أو دفاعاً للرسالة المسيحية : لأن رسالة المسيح هي المسيح

نفسه؛ ودعوته لملكوت الله دعوة لملكوت المسيح لأن المسيح هو الملكوت نفسه.

فالدفاع في أسلوب الإنجيل عرض تاريخي للرسول في رسالته؛ والدفاع عن المسيحية قائم فيه على عرض الواقع التاريخي لسر شخصية المسيح الثنائية في وحدة الذات. فالإنجيل بحسب مرقس سيرة حياة، وسر شخصية يعرضها ببساطة المحدث الشعبي، وطبيعة الفن المعجز من السهل الممتنع، وعفوية الواقع التاريخي التي تجتذب الاقتناع، وتحمل إلى النفس الطمأنينة والسكينة في الاقتناع.

فالإنجيل دفاع قائم على الواقع التاريخي، الذي لولاه ما كان دفاع ولا اقتناع.

*

٣ - الشبهة الثالثة : الإنجيل تعليم أكثر منه سيرة

يقول بعضهم : إن الإنجيل تعليم مسيحي أكثر منه سيرة للمسيح. فكما جاء تعليمهم المسيحي بأسلوب رسائل، جاء أيضاً بأسلوب أناجيل، وهذه الأناجيل ابتداءً من الإنجيل بحسب مرقس، قصصٌ ديني غايته التعليم المسيحي : فليست هي مجرد سيرة، إنما الغاية التعليمية طغت فيها على تكوينها أو تحريفها.

أجل إن الإنجيل دعوة دينية، فهو تعليم وسيرة معاً، لكنه سيرة للتعليم، لا تعليم في سيرة. فالسيرة والتعليم فيه واحد، كما أن الرسول والرسالة واحد. وهذه ناحية من نواحي الإعجاز في الإنجيل، وميزته التي ترفعه فوق كل كتاب منزل أو غير منزل. وهل كانت النبوة، وسير النبوة والرسالة إلاً تعليماً وهداية ؟ هداية بالعمل والمثل قبل الهداية بالحكم والخطب!

وفي سيرة المسيح، بالإنجيل، تعليم ينبع من طبيعة السيرة المسيحية :

فالمسيح هو ((المعلم)) الأول : أنستغرب أن تكون سيرته تعليمياً ؟ وهداية ؟ والنبي المعلم الذي لا تكون سيرته هداية للبشرية ليس بنبي البشرية.

مع ذلك فقد جاءت السيرة والتعليم، في الإنجيل بحسب مرقس، موزعاً توزيعاً فنياً كاملاً : نصف الإنجيل للسيرة، ونصفه للتعليم؛ وهذا التعليم سيرة، وهذه السيرة تعليم — بينما الإنجيل بحسب متى ثلاثة أرباعه للتعليم، وبحسب لوقا ثلثاه للتعليم، وبحسب يوحنا خمسة أسداسه.

والهدف التاريخي فيه ظاهر من الإيضاحات الجغرافية مثلاً (١ : ١١ ؛ ٩ : ١)؛ ومن تفسير التعبيرات الأرامية (٣ : ١٧ و ٢٢ ؛ ٥ : ٤١ ؛ ٧ : ١١ و ٣٤ ؛ ٩ : ٤٣ ؛ ١٠ : ٤٦ ؛ ١٤ : ٣٦ ؛ ١٥ : ٢٢ و ٣٤)؛ ومن شرح العوائد اليهودية (٧ : ٢ — ٤ ؛ ١٥ : ٤٢). وهذا كله دليل الأمانة للبيئة التاريخية في الدعوة المسيحية، قبل أن يكون لغاية تعليمية.

والهدف التعليمي فيه أيضاً ظاهر من تجميع الخلاقات الخمسة مع اليهود في الجليل (مر ٢ : ١ — ٣ : ٥)؛ ومن تجميع الأمثال في يوم مشهود (١٤ : ١ — ٤٣)؛ ومن تجميع الجدالات في الحلال والحرام (١٧ : ١ — ٢٣). ونلمس الهدف التعليمي في الربط والقرائن التي تجمع الآيات المتفرقات (٤ : ٢١ — ٢٥ ؛ ٨ : ٣٤ — ٩ : ٣٧ — ٥٠ ؛ ١١ : ٢٣ — ٢٥) أو المواضيع المختلفة (١٠ : ١ — ٣١)، وذلك تسهيلاً للحفظ.

فالإنجيل دعوة دينية، ولا غرابة أن يمتزج فيه الهدف التاريخي بالهدف التعليمي. والجماعة المسيحية الأولى، وعلى رأسهم بطرس الزعيم راوية الإنجيل بحسب مرقس، إنما ينقلون إنجيل المسيح لهداية الناس إلى الإنجيل والمسيح. فجاء الإنجيل بحسب مرقس، مثل سائر الأنجيل، سيرة وتعليماً؛ ولم يشوه فيه الهدف التعليمي الهدف التاريخي، لأن سيرة المسيح أساس تعليمه وهدفه، ولا قيمة لهذا التعليم بدون التاريخ الصحيح لسيرة المسيح.



بحث ثان

هل من شبهات على الإنجيل بحسب مرقس نفسه ؟

من مقارنة الأناجيل، بعضها ببعض، تظهر، على ما يقولون، النواقص والزيادات فيها، خصوصاً بالنسبة إلى مرقس. وكلا الأمرين شبهة على تاريخية الإنجيل.

١- شبهة أولى : نواقصه وزياداته شبهة عليه

يقولون : مرقس يبدأ سيرة المسيح بعماده على يد يوحنا المعمدان، فلا يذكر قصة المولد، ولا سيرة نشأة يسوع، كأنه هبط فجأة من الغيب أو من الأسطورة! ثم يذكر مرقس أقوالاً للمسيح، لكنها لا تتشبه خطب الإنجيل بحسب متى؛ ويذكر أعمالاً للمسيح لكنها لا تتشبه تاريخ لوقا. والثلاثة، مرقس ومتى ولوقا يجعلون مسرح دعوة المسيح في الجليل، بخلاف يوحنا الذي ينقل خصوصاً دعوة المسيح في أورشليم واليهودية.

ويقولون أيضاً : إن الإنجيل بحسب مرقس كله في متى ولوقا ما عدا خمسين آية جاء بها وحده : فيها معجزتان : الأصم الأبكم (٧ : ٣١ - ٣٧) وأعمى بيت صيدا (٨ : ٢٢ - ٢٦)! وفيها مثل انفرد به : الزرع الذي ينبت وحده بقوته الذاتية (٤ : ٢٦ - ٢٩)؛ وفيها حادثان لم يذكرهما سواه : محاولة قومه توقيفه لأنه ((شارد العقل)) - وتهمة الجنون عند الأنبياء معروفة متواترة (٣ : ٢٠ - ٢١)، وقصة الشاب الذي يهرب عرياناً في الجتسمانية (١٤ : ٥١ - ٥٢)

فقيل : تلك الزيادات والنواقص والاختلافات شبهة على تاريخية الإنجيل!

كلاً ليست بشبهة إلاً عند الذين بصرهم قصير أو في نفوسهم مرض!

إن أصحاب المسيح ورسله الذين أئتمنهم على الإنجيل لم ينقلوه لنا كاملاً، بل نقلوا منه في البيئات التي عُرِضَ عليها ما يناسبها من إنجيل المسيح، كما يشهد بذلك آخر الأناجيل نزولاً، الإنجيل بحسب يوحنا في خاتمته وآخر آية منه : ((وصنع يسوع أيضاً أشياء أخرى كثيرة، فلو أنها كُتبت واحداً فواحداً، لما خلت أن العالم نفسه يسع الصحف المكتوبة)) (يوحنا ٢١ : ٢٥). ومرقس نفسه يشير مراراً إلى تعليم يسوع دون أن ينقل منه شيئاً (مرقس ١ : ٣٩؛ ٢ : ٢ و ١٣؛ ٤ : ١ و ٢؛ ٦ : ٢ و ٦؛ ٦ : ٣٤؛ ١٠ : ١؛ ١١ : ١٥؛ ١٢ : ١ و ١ و ٣٥). ومتى يشير مراراً إلى معجزات بالجملة، ولا ينقل منها إلاً ما قلَّ ودلَّ (٤ : ٢٤؛ ٨ : ١٦؛ ٩ : ٣٥؛ ١١ : ٤ — ٥؛ ١٢ : ١٥؛ ١٣ : ٥٨؛ ١٤ : ١٤؛ ١٥ : ٣٠ — ٣١؛ ١٩ : ٢؛ ٢١ : ١٤). فهذا الواقع الإنجيلي المعلن يرفع كل شبهة من زيادة أو نقصان. فقد نقل كل إنجيلي ما يوافق بيئة الدعوة في عرض الإنجيل عليها. وليس في ذلك غضاضة على أمانتهم الكاملة، لأن الإنجيل كله تعريف بالمسيح، يكفي منه ما قلَّ ودلَّ للتعريف به، مهما اختلف عرضه في الأسلوب من إنجيل إلى إنجيل، بحسب البيئة.

واقصار الأناجيل المؤتلفة على دعوة المسيح في الجليل، بخلاف يوحنا الذي أكملها بنقل الدعوة في أورشليم واليهودية، كان أمراً مقصوداً اتفق عليه الرسل في تخطيط البلاغ الأول للدعوة (أع ٢ : ٤٢) كما يظهر ذلك من خطاب بطرس في دعوة أول الأميمين القائد كرنيليوس (أع ١٠ : ٣٤ — ٤٣). ومن أسباب ذلك التخطيط للدعوة إيجازها وتسهيل تبليغها؛ وقد يكون منها أيضاً التحفظ من إثارة السنهدين، مجلس اليهود الأعلى، واستشهاد المسيح لم يزل حياً في النفوس؛ وقد يكون منها أيضاً التستير على بعض أنصار المسيح

المستورين من أعضاء السنهدرين مثل الشيخ نيقوديم الذي ناصر المسيح سراً وناصر رسله من بعده (يوحنا ٣ : ١ - ١٥ ؛ ١٩ : ٣٨ - ٣٩ ؛ الأعمال ٥ : ٣٤). فتخفي بعض الزعماء أمثال نيقوديم ويوسف الرامي وجملثيل نفسه، وكلهم من أعضاء السنهدرين، يفسر سكوت الرسل في بدء الدعوة عن ذكر رسالة المسيح في اليهودية - ما خلا قصة الاستشهاد في أورشليم المشهورة.

والإنجيل بحسب مرقس هو رواية بطرس، مخطط الدعوة الأول (أع ٢ : ٤٢). وما هو سوى تفصيل لخطاب بطرس في دعوة الأميين (أع ١٠ : ٣٤ - ٤٣) وما فيه من نقص أو زيادة لا يطعن في صحته، كما لا يطعن في صحة غيره، لأن الاقتصاد في الاعتقاد كان مقصوداً في البلاغ للأميين، في مطلع الدعوة. واقتصار مرقس على نقل أقوال المسيح متفرقة غير مجموعة في خطب مثل متى، وعلى نقل أعمال المسيح متفرقة غير مؤلفة في تاريخ مثل لوقا، يرجع إلى الواقع التاريخي، بل إلى أسلوب بطرس في الدعوة. وبطرس يظهر من مصادر الوحي الإنجيلي أنه كان زعيماً شعبياً، لا ثقافة وافر له؛ فروى من دعوة المسيح كما استوعبها وكما خططها مع رفاقه الرسل؛ فينقل عنه مرقس رواية الإنجيل نقلاً صادقاً. وهذا أيضاً دليل صحته.

وإن إهمال مرقس لقصة المولد ونشأة يسوع، فراجع أيضاً إلى تخطيط بطرس وسائر الرسل للبلاغ الأول للدعوة (أع ٢ : ٤٢) لأسباب استتسبها وقد تبيّننا بعضها. فأهملها مرقس في أمانته لرواية معلمه بطرس. وإهمال المؤلفة الثلاثة للدعوة في أورشليم، كما نقلها يوحنا، مع إشاراتهم المتواترة إليها، هو نتيجة التخطيط المقصود في مطلع الدعوة. ولما أراد لوقا أن يورد شيئاً من الدعوة في اليهودية، قبل يوحنا، أورده في قسمه الخاص به بأسلوب قصة صعود يسوع إلى أورشليم، لئلا يحيد عن التخطيط، كما يشير إلى ذلك من طرف خفي (لوقا: ٩ : ٥١ ؛ ١٠ : ٣٨ ؛ ١٣ : ٢٢ ؛ ١٧ : ١١ ؛ ١٨ : ٣٥ ؛ ١٩ : ١).

والخلاف التاريخي الوحيد بين مرقس ومتى ولوقا هو على زمن توجيهات يسوع لرسالته في رسالتهم. فمرقس يُسبق الدعوة بالأمثال على توجيهات يسوع للرسالة في بعثتهم التدريبية، بخلاف متى؛ والتنسيق ظاهر عند متى بجمع توجيهات الرسالة العامة (متى ١٠ : ١٧ - ٤٢) إلى توجيهات البعثة التدريبية في إسرائيل (متى ١٠ : ٥ - ١٦). وقد جاء لوقا ففصل ما يخص الرسل (٩ : ١ - ٦) وما يخص بعثة التلاميذ الاثني والسبعين، مثال الرسالة العامة المسيحية (١٠ : ١ - ٢) والخلاف في التخطيط للسيرة بين مرقس (١ - ٦) ومتى (٣ - ١٣) يرجع إلى الأسلوب الظاهر : فأسلوب متى تنسيقي، وأسلوب مرقس استقرائي؛ وقد تكون رواية مرقس مع لوقا أقرب إلى الواقع التاريخي.

وهكذا فليس من نواقص أو زيادات الإنجيل بحسب مرقس من شبهة على تاريخيته لأنها مقصودة لذاتها، بحسب تخطيط بطرس روايته، لأسباب اعتبروها صوابية في مطلع الدعوة؛ وما لنا إلا أن نسلم بها.

*

٢ - شبهة ثانية : من تأثير بولس في الإنجيل بحسب مرقس

يقولون : إن مرقس تتلمذ لبولس كما تتلمذ لبطرس : وبولس لم يكن شاهد العيان في دعوة المسيح، وبعد هدايته قد فلسفها للعالم الهلنستي. ودعوة بولس قد سبقت تدوين الإنجيل بأحرفه الأربعة، فأثرت فيها جميعاً. فمن الرواسب البولسية، على حدّ زعمهم، بنوّة يسوع الإلهية، أو نظرة الفداء في استشهاد المسيح، ونقل ملكوت الله من بني إسرائيل إلى الأميين. وهذا ما نجده حتى في الإنجيل بحسب مرقس، وهو الإنجيل البدائي في ما بينها.

ونحن نجد في تدوين الإنجيل بعد دعوة بولس، من دون التأثير بها، البرهان الكبير على صحة الرواية في الإنجيل، وعلى تاريخيتها.

فتلك الرواسب الثلاثة ليست من بولس؛ إنما هي جوهر ومحور دعوة المسيح، ولولاها لكان المسيح نبياً قد خلت من قبله الرسل عند بني إسرائيل؛ ولولاها لما كانت دعوة المسيح ديناً جديداً في إسرائيل والبشرية. وما كان بولس أو يوحنا أو سواهما من بني إسرائيل ليؤسس المسيحية في أمة التوحيد المبنية على توراة موسى! فقد حاول ((النصارى اليهود)) فهم الإنجيل والمسيح على ضوء التوراة، فانزلوا عن سائر المسيحيين، منذ مؤتمر الرسل وقادة المسيحيين في أورشليم عام ٤٩، وانطوا على أنفسهم، حتى انقضوا أو ذابوا في غيرهم. وعلى هذا الفهم القاصر يريد أهل الاعتراض أن يقتصروا المسيحية.

ودعوة بطرس في سفر الأعمال، تسبق دعوة بولس، وهي مثال لدعوة الرسل كلهم. فبطرس علم قبل بولس، على نور القيامة، ((إن الله قد جعل يسوع، هذا الذي صلبتموه أنتم، رباً ومسيحاً)) (أع ٢ : ٣٦)؛ وإن الإيمان باسمه وموته يعطي غفران الخطايا، وأنه ليس تحت السماء من اسم سواه به نخلص (أع ٣ : ١٢)؛ وبطرس هو الذي بأمر إلهي فتح باب المسيحية للأمم في شخص كورنيليوس (أع ١٠ : ٣٤ - ٤٨)، ((لأن الموعد هو لكم ولبنينكم، ولجميع الذين هم على بعد، بمقدار ما يدعو الرب إلينا منهم)) (أع ٢ : ٣٩). تلك هي الحقائق المسيحية الثلاث التي فلسفها بولس في دعوته. فهي من دعوة المسيح، كما دعا بها بطرس، قبل أن يهتدي بولس إليها.

وشخصية المسيح، كما خيرها بطرس على حياته، وخصوصاً كما فهمها على نور قيامته، قد وصفها بطرس بأوصاف شعبية تحمل كل المعاني التي فلسفها بولس، ووصفها يوحنا. فقد وصف بطرس يسوع المسيح أنه ((عبد الله)) الذي يفدي شعبه ببذل ذاته (٢ : ٣٢ - ٣٦ و ٣٨؛ ١٠ : ٤٣)؛ وأنه القدوس، الصديق، مبدأ الحياة (٣ : ١٣ - ١٦)؛ وأنه ((الرب المسيح)) (٢ : ٣٦) الذي تنبأ الأنبياء عن آلامه واستشهاده (٣ : ١٨)؛ وأنه باسمه يتم الخلاص وتُصنع المعجزات (٤ : ١٢ و ٣٠)؛ وأن الخلاص بالمسيح هو لبني إسرائيل

أولاً: ثم للبعيدين (٢ : ٣٩) أي لأهل الكتاب ثم للأُميين. وليس عند بولس، ولا عند يوحنا، سوى تفصيل كلامي أو صوفي لهذا التعليم الابتدائي؛ ولولا هذا التعليم المتواتر عن المسيح نفسه، لما كانت دعوة بطرس، مثال دعوة الرسل، ولا كان كلام بولس ولا صوفية يوحنا.

وليس من بولس في الإنجيل بحسب مرقس، كما قلنا، سوى بعض تعابير كانت من التراث المسيحي المشترك، لا من ((إنجيل)) بولس الخاص. وسلامة الإنجيل بحسب مرقس من ((خصوصيات)) بولس شاهد على صحته وأمانته.

تلك هي دعوة بطرس، وتفصيلها في الإنجيل بحسب مرقس؛ وهما أساس دعوة بولس وفلسفتها؛ وليست دعوة بولس ولا فلسفته للمسيحية أساساً للإنجيل ولدعوة المسيحية — ولو عبرت إلى الإنجيل بحسب مرقس، أو بحسب لوقا نفسه، بعض تعابير من بولس لا تمس جوهر الدعوة المسيحية، كما نراها في سفر الأعمال قبل بولس، وفي الإنجيل بعد بولس؛ والدعوة المسيحية في الأعمال وفي الأناجيل المؤتلفة متميزة عن دعوة بولس الخاصة.

فلم يكن لبولس، ولا لكلامه وفلسفته، من سببية في تحرير أو تحوير الدعوة الإنجيلية. إنما كانت الدعوة الإنجيلية كما دعا بها الرسل قبل بولس أساس دعوته وكلامه : ((فسواء كنت أنا أم أولئك، فهكذا ندعو، وهكذا أمنتم)) (١ كور ١٥ : ١١). ولا ننسَ المبدأ الذي أعطاه أغسطين منذ القديم : ((بشأن الحقيقة، ليست العبرة في الألفاظ، إنما العبرة في معاني الأشياء)) (١) .

*

(١) «(non tam verborum quam rerum quaerendam vel amplectendam esse veritatem)». De consensu evangelistarum L 11, c. XII p. 29- P. L. XXXIV, p. 1091

٣ - شبهة ثالثة : من مقارنة مرقس بمتى يظهر موقف مرقس التاريخي مشبوهاً

يقولون : نعرف من متى، وهو في لغته الأرامية أقدم من مرقس، أن المسيح اقتصر رسالته ((على الخراف الضالة من بني إسرائيل)) (متى ١٥ : ٢٤)، وأنه أتى ((لا لينسخ التوراة أو النبيين، بل ليكملها)) (متى ٥ : ١٧). وها مرقس، تلميذ بولس المتعصب ضد اليهود، يعلن تنكر المسيح لبني إسرائيل، ونقل الملكوت منهم إلى الأميين، الممثلين بالرومانيين. وهو لذلك يخلق التعليم بالأمثال ليفسر عدم فهم اليهود لتعليم المسيح؛ ويخلق قصة ((سر المسيح)) المحفوظ، والمفروض على الشياطين (١ : ٣٤؛ ٣ : ١٢) وعلى المبروتين بمعجزة (١ : ٤٤؛ ٥ : ٤٣؛ ٧ : ٣٦؛ ٨ : ٢٦) وعلى الرسل أنفسهم (٨ : ٣؛ ٩ : ٩)، ليفسر إيمان الكنيسة بأن يسوع هو المسيح. ونلمس أثر الصنعة في قصة ((سر المسيح)) في مواقف غير طبيعية : فكيف يمكن أن يخفي يائير وامرأته سرّ بعث ابنتهما من الموت، على يد يسوع، وجمهور المعزّين ينوحون عليها ؟ فمن مقارنة مرقس بمتى يظهر موقف مرقس التاريخي مشبوهاً!

كلاً ليس من شبهة على تاريخية مرقس في المواقف المذكورة.

كان لدعوة المسيح في بني إسرائيل ناحية قومية وناحية عالمية؛ وفي عرض الإنجيل على البيئة الإسرائيلية، أبرز متى الناحية القومية؛ وبعرض الإنجيل على البيئة الرومانية الهلنستية أبرز مرقس الناحية العالمية؛ وليس من تعارض في الإنجيلين، لأن كليهما يظهر الناحيتين في أسلوبه. وإذ أهمل مرقس الناحية القومية، فليس ذلك تعصباً منه على اليهود، بل لإيلاف الأميين. والعداء لليهود ليس في الإنجيل، بل يبرز من معاملة زعماء اليهود للمسيح : انتظروا مسيحاً قومياً سياسياً حربياً، فجاء يسوع مسيحاً روحياً يعمل للدين، لا للدولة، فأنكروه وحاكموه وأعدموه. ((ومكروا ومكر الله بهم، والله خير الماكرين)) : فأقام المسيح من الموت والقبر، ورفع إلى السماء حيّاً إلى الأبد، فالنفوز في

الواقع التاريخي المرير، ولم يخلقه مرقس ولا غيره. ومتى الذي يكتب لبني إسرائيل ختم دعوة المسيح فيهم بقوله : ((من أجل ذلك أقول لكم : إن ملكوت الله يُنزع منكم ويسلم إلى أمة تؤدّي ثماره)) (٢١ : ٤٣). فالمسيح هو الذي رذل اليهود لكفرهم به وبمواعيد أنبيائهم، لا مرقس ولا بولس ولا الرسل.

والتعليم بالأمثال أسلوب شرقي وكتابي استخدمه المسيح في دعوته، ليكشف لهم سرّ الملكوت الموعود، دون إثارتهم : ليس ملكوت الله دولة إسرائيلية فوق الدول، بل دين الله في كل الدول والأمم! ولاختلاف وجهة النظر إلى ملكوت الله بين المسيح وبني قومه، اضطرّ المسيح إلى أن يغلف تعليمه بشأن الملكوت بأسلوب الأمثال وتشابيهه وكنائياته واستعاراته، وذلك لا لتجهيلهم، بل لحملهم بلطف على ترك جهلهم بسرّ ملكوت الله. وأسلوب الأمثال ليس من خصوصيات مرقس، بل هو أظهر عند متى وعند لوقا؛ وإجماع المؤتلفة على نقله دليل على أنه كان أسلوب المسيح نفسه. وهو من ميزات إعجاز المسيح والإنجيل في البيان والتبيين.

كذلك لم يخلق مرقس قصة ((سر المسيح)) المحفوظ، لشرح كفر اليهود به، وبيان بطلان فهم الرسل له. بل يشاركه فيه متى، مع اختصاصه بفصل منه (٩ : ٣٩)، ولوقا (٤ : ٣٥ و ٤١ ؛ ٥ : ١٤ ؛ ٨ : ٥٦). فالكشف عن سر شخصية يسوع أنه المسيح ابن الله، فجأة دون تهيئة العقول والقلوب، كان يثير الدولة الرومانية، وأمة التوحيد اليهودية؛ لذلك كانت خطة المسيح الظاهرة الكشف بالأعمال والأحوال حتى يحين الوقت النفساني للكشف بالأقوال. ومع ذلك لمّا كشف يسوع بصراحة عن سرّ شخصيته في ختام دعوته، تمت المؤامرة بإعدامه. فالواقع التاريخي يُملّي ((سر المسيح المحفوظ، لا اختراع مرقس له)) . لكن الإنجيل بحسب مرقس قد جعل من ((سر المسيح)) المحفوظ، أسلوباً بيانياً دراماتيكياً تميّز به حتى الكشف الأخير. وله ما يقابله عند متى في ((خلوات

هل من شبهات على الإنجيل ... ٦٣

يسوع)) مع تلاميذه، بعيداً عن ملاحقة اليهود له (١٢ : ١٥ - ٢١؛ ١٤ : ١ - ١٦ : ١٢))
فالكشف عن ((سر المسيح)) كان واقعاً تاريخياً، أكثر منه أسلوباً بيانياً عند مرقس.

فليس موقف مرقس من اليهود موقفاً مشبوهاً، تاريخياً. إنه الواقع التاريخي الذي يبرز
من طبائع الأحداث والأشخاص، ومن الصراع بين يسوع وبني قومه على حقيقة الرسالة
المسيحية بين الروحية والدنيوية، وبين القومية والعالمية. وهو موقف مشترك بين الأنجيل، لا
موقف مخصوص بمرقس، وإن اختلفت الأساليب والتعابير.

فكفر اليهود برسالة المسيح الروحية، وبطء فهم الرسل لها، أمر طبيعي في بيئتهم،
قبل أنوار القيامة، وتأييد الله بها لرسالة المسيح.

ومرقس يصف لنا تأثير الرسالة المسيحية قبل القيامة، فهو يعطينا الحقيقة التاريخية
الواقعية؛ بينما متى يراها على نور القيامة. لكن الحقيقة التاريخية تبقى في جوهرها واحدة في
النظرتين.

*

٤ - شبهة رابعة : الدعوة المسيحية بين القومية والعالمية

يقولون : نعرف من أن دعوة المسيح كانت قومية، مقصورة على بني إسرائيل، حتى
أن يسوع قد صرح : ((إني لم أرسل إلا إلى الخراف الضالة من بني إسرائيل)) (٥ : ٢٤).
وها مرقس يهمل في إنجيله ما يخص قومية الدعوة المسيحية، ويجعلها عالمية في عرضها
على العالم الهلنستي، في عاصمة رومة : فنقل الدعوة المسيحية من القومية إلى العالمية
تحريف للتاريخ.

نقول : إن القومية والعالمية، في الدعوة الإنجيلية، ناحيتان متلازمتان،

تقومان على الواقع التاريخي المتواتر في الأناجيل المؤتلفة الثلاثة، وإن كانت الناحية القومية أبرز عند متى، في عرض الإنجيل على البيئة الإسرائيلية، والعالمية أصرح عند مرقس، في عرض الإنجيل على العالم الروماني الهلنستي. وذلك يرجع، لا إلى الواقع التاريخي الذي يفترضونه مختلفاً بين متى ومرقس، بل إلى عرض الإنجيل في بيئتين مختلفتين، بيئة متى القومية، وبيئة مرقس ولوقا الأممية. فهناك اختلاف في أساليب العرض بحسب البيئات المختلفة، لا خلاف على الواقع التاريخي.

والواقع التاريخي واحد في الأناجيل المؤتلفة، بالنسبة إلى قومية الدعوة المسيحية وعالميتها. وعند متى نفسه نرى تطور الدعوة من القومية إلى العالمية، في الصراع القائم بين يسوع وبني قومه على سر المسيح وسر الملكوت. وهذا الصراع بين القومية والعالمية نراه في أعمال يسوع وأقواله، بحسب متى نفسه.

فدعوة المسيح لم تبدأ قومية، ثم عند الفشل انتهت عالمية، كما يظن أيضاً بعضهم. إنما نزعها العالمية ظاهرة منذ بدايتها، وهذا هو سبب الصراع بين يسوع وبني قومه. ومن دلائل النزعة العالمية في دعوة المسيح أنه اختار ((جليل الأمم)) مسرحاً لها (متى ٤ : ١٥ — ١٦) لامتزاج أهل الكتاب بالأميين فيه، فيسمعون الدعوة وينتفعون بها. وما تردّد يسوع في السنة الثانية إلى حدود فينيقيا وسوريا وشرق الأردن سوى مظاهر لتلك النزعة العالمية في الدعوة. فليست القضية في ذلك قضية تطوّر محتوم؛ إنما هي قضية خطة موضوعة وأسلوب مختوم.

وقد رأينا أن قول يسوع في بعثة الرسل التدريبية في إسرائيل (متى ١٠ : ٥ — ٦)، وقول يسوع للفيثيقية السورية (متى ١٥ : ٢٤) أنه لم يُرسل إلا إلى الخراف الضالة من بني إسرائيل، ليسا سوى تحديد مهمة عابرة للرسل في تدريبهم، أو كلمة تحدّ للكنعانية لتفجير إيمانها؛ وليست رحلات يسوع إلى الأوساط الوثنية

ومعجزاته فيها إلا تفسيراً لها. وما صراع يسوع مع بني قومه إلا على عالمية دعوته، كما يظهر من ختام الصراع : ((لذلك أقول لكم إن ملكوت السماوات ينزع منكم ويسلم إلى أمة أخرى تؤدي ثماره)) (متى ٢١ : ٤٣). وكان القول الفصل في قوله : ((هوذا بيتكم يترك لكم خراباً! إنكم لن تروني حتى تقولوا : مبارك الذي أتى باسم الرب)) (متى ٢٣ : ٣٨ - ٣٩).

فدعوة المسيح عالمية منذ بدايتها؛ لكن السيد المسيح تدرج في إعلان ذلك، كما تدرج في إعلان سرّ مسيحيته وسرّ إلهيته. ودعوة المسيح عالمية في تطورها، كما يظهر من الصراع الذي وصفناه مع بني قومه. وخاتمة الإنجيل ختم على عالميتها. فمتى الذي يكتب لبني إسرائيل يختم الإنجيل بقول المسيح : ((اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم)) (متى ٢٨ : ١٣). وهو مثل قول المسيح في ختام الإنجيل بحسب مرقس : ((اذهبوا في العالم أجمع، وادعوا بالإنجيل الخليفة كلها)) (متى ١٦ : ١٥). هذا هو الواقع التاريخي في الأناجيل المؤتلفة الثلاثة.

فرسالة المسيح إنما كانت لنقل التوحيد وملكوت الله من بني إسرائيل إلى العالم كله. وخطة المسيح في التدرج بإعلان ذلك، لا يغير شيئاً من جوهرها. هذا ما يظهر من الإنجيل بأحرفه الأربعة، وإن اختلفت أساليب عرض الإنجيل بحسب البيئات المختلفة. فليس من تعارض بين متى ومرقس أو سواهما في عالمية الدعوة المسيحية في نشأتها وتطورها وختامها. وإجماع الإنجيل في نصوصه الأربعة على عالمية الدعوة المسيحية دليل على الحقيقة التاريخية الواحدة.

*

٥ - الشبهة الخامسة : الإنجيل بحسب مرقس قصص شعبي، لا تاريخ سيرة

يقولون : ما أبعد الإنجيل بحسب مرقس عن مظاهر التاريخ وقواعده : فلا تفصيل فيه للأحداث، ولا تسلسل ولا تعليل؛ إنما هو مجموعة قصص شعبي لا تأليف بينها : وهذا ما يلقي ظلاً من الشك على تاريخيته.

نقول لهؤلاء وأمثالهم : ليس الإنجيل تاريخ سيرة، بالمعنى العلمي الحديث بل سيرة دعوة دينية. وسيرة الدعوة الدينية يكفي منها ما قلّ ودلّ على مبادئها وأهدافها، سواء جاء ذلك في أسلوب تاريخي مثل لوقا أو أسلوب بياني كلامي مثل متى، أو أسلوب صوفي مثل يوحنا، أو أسلوب قصصي مثل مرقس. فليس التاريخ فقط كما نفهمه اليوم، إنما التاريخ أيضاً كما كان يفهمه الأقدمون. وليست ((الظاهرة التاريخية)) في أسلوب التاريخ فقط؛ إنما هي أيضاً في الوقائع التاريخية ودلائل صدقها، وضمانات أمانتها، كما في الإنجيل بحسب مرقس وقصصه الواقعي.

ودلائل الصدق بادية على سيرة المسيح في الإنجيل بحسب مرقس، مهما كانت مذهلة معجزة. فالواقعية البادية على الأحداث، والطبيعية والعفوية في روايتها والإخلاص والحيوية في معانيها، كلها تبدو جلية من خلال آياتها، مع الإهمال الظاهر لأصول البيان والتبيين في التاريخ والأدب مما يزيد صدقاً وأمانة. إنها قول الحق الذي فيه يمترون، بأسلوب قصصي شعبي يجعلها من السهل الممتنع في إعجازها.

وضمانات النقل الصحيح متوفرة من صاحب الرواية، بطرس الزعيم، شاهد العيان الأول لأحداث السيرة والدعوة؛ ومن الناقل عنه، مرقس، الذي طرح جانباً ثقافته ليكون أميناً لرواية معلمه على علاتها. وقبول الإنجيل بحسب مرقس، من المؤمنين الذين سمعوه أولاً من المسيح، ثم من فم بطرس، راويته الأمين، ثم من قلم ترجمانه مرقس على لسان معلمه بطرس، كما هو ثابت من الإسناد الصحيح والتواتر المشهور، دليل على صحة النقل عن بطرس وعن المسيح.

فالإنجيل بحسب مرقس، وإن جاء في أسلوب قصصي شعبي، فهو تاريخ سيرة المسيح الثابت الصحيح. وليست العبرة في الأسلوب إنما العبرة في الواقع التاريخي المكتوب.

هل من شبهات على الإنجيل ... ٦٧

وما منع الأسلوب الناس أن يؤمنوا! إنما منعهم الموضوع المذهل في سر الرسول ورسالته، مهما كانت ضمانات النقل متوفرة، ودلائل الصدق قائمة.

إن الحدث المعجز في شخصية المسيح وتاريخ دعوته هو اللغز الأكبر الذي حير العقول والظنون إلى يوم يُبعثون.

*

٦ - شبهة سادسة : ليس الإنجيل بحسب مرقس رواية شاهد بل تابع

يقولون إن الإنجيل بحسب مرقس هو الرواية الأولى الباقية لأحداث سيرة المسيح ودعوته؛ وهذه الرواية من تابعي، مرقس، لا من شاهد للعيان : وفي نسبة هذه الرواية الأولى إلى مرقس شبهة قائمة على صحة تاريخيتها.

نقول بجرأة تتحدّى جميع المشككين : إن نسبة هذه الرواية إلى مرقس التابعي هي الدليل الكبير على صحة النسبة إليه، وعلى صحة تاريخية الرواية، بشهادة زعيم المشككين رينان^١ : ((لم يكن مرقس من عمدة الكنيسة حتى يعتدّ المسيحيون باسمه فينسبون إليه كتابة الإنجيل: لو لم يكن هو كاتبه)) !

بالعكس من ذلك لقد كتب كثيرون **أناجيل منحولة** باسم زعماء الرسل، الشهود العيان، ولم تقبلها الجماعة المسيحية كرسولية وتاريخية، مع أنها باسم شهود العيان، لأنها ليست في الحقيقة من شهود العيان. وقبلت الإنجيل بحسب مرقس، وأمنت برسوليته وتاريخيته، وفرضت تلاوته في صلوات المؤمنين، بسبب صحته الرسولية وصحته التاريخية، لأنه رواية بطرس شاهد العيان الأمين.

(١) Renan : Les Evangiles Synoptiques III p. 39: 15

فالإنجيل الذي نقله مرقس عن معلمه بطرس، شاهد العيان الأول لأحداث السيرة والدعوة المسيحية، قد دعا به بطرس، كما في سفر الأعمال، قبل أن يدونه مرقس تلميذه وترجمانه مفصلاً في الإنجيل : فما الإنجيل بحسب مرقس سوى تفصيل لدعوة بطرس في سفر الأعمال.

وصحة الرواية بحسب مرقس يُستدل عليها من نفسها، في موقفها من الرسل وخاصة من بطرس الزعيم : فهي لا تسكت عن هفوات الرسل ونقائصهم وقد أمسوا في زمان التدوين موضع التقديس والتكريم، كما يسكت متى : فمرقس ينقل عن معلمه بطرس، مؤسس المسيحية في عاصمة المسكونة، نقائص بطرس ونقائص الرسل، من بطء فهمهم للمسيح وتعليمه، ومن طموح إلى المركز الأول في ملكوت السماوات، ومن خصومات فيما بينهم، ومن جبن أكثرتهم ساعة المحنة الكبرى، وجحود بطرس في الموقف الحاسم، ومن خيانة يهوذا خيانة أودت بحياة المعلم المحبوب! فالرواية تحمل دلائل صحتها بادية عليها.

ومرقس أيضاً ليس الشهادة الوحيدة المعاصرة. فالأنجيل الثلاثة المؤتلفة متى ومرقس ولوقا، كلها من زمن واحد، وعلى عهد الرسل ((الذين كانوا منذ البدء شهود عيان للكلمة ثم صاروا دعاة لها)) (لوقا ١ : ٢)؛ وكلها شهادة واحدة؛ باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني، للحدث الأعظم الواحد، والدعوة المعجزة الواحدة. واختلاف الألفاظ مع اتفاق الموضوع والمعاني دليل الصحة التاريخية، في شهادات ثلاث مؤتلفة، من بينات ثلاث مختلفة. والعبرة في ائتلاف معاني الشهادة، لا في اختلاف ألفاظها؛ والشبهة إنما تكون في ائتلاف الألفاظ واختلاف المعاني. وقبول المسيحية لها منذ عهد الرسل، وعلى حياتهم — من دون سواها — تكريس رسمي لصحة نسبتها إلى أصحابها ولصحتها التاريخية.

للشهادة على صحة رواية مرقس، لدينا مع الأنجيل المؤتلفة شهادة أعمال

الرسول؛ وشهادة بولس في رسائله، وبولس كان الثائر الأكبر إيماناً وثقافة على الدعوة المسيحية، ثم اهتدى إليها فصار الشاهد الأكبر لها إيماناً وثقافة. وشهادة بولس وسفر الأعمال موجزة في هذا البلاغ إلى الكورنثيين : ((أيها الأخوة أذكركم الإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه، وأنتم ثابتون فيه، وبه تخلصون، إن حافظتم عليه كما بشرتكم به — ما لم يكن إيمانكم باطلاً : فإني قد سلمت إليكم أولاً ما قد تسلمت أنا نفسي، إن المسيح قد مات لأجل خطايانا، على ما في الكتب؛ وأنه قبر؛ وأنه قام في اليوم الثالث على ما في الكتب؛ وأنه تراءى لكيفا، ثم للاثني عشر، ثم تراءى لأكثر من خمسين أخ معاً — أكثرهم باق حتى الآن، وبعضهم رقدوا — ثم تراءى ليعقوب، ثم لجميع الرسل؛ وآخر الكل تراءى لي أنا أيضاً كأنما للسقط! .. فسواء كنت أنا أم أولئك، فهكذا ندعو، وهكذا آمنتم))! (١ كو ١٥ : ١ — ١١). فشهادة الرسل، شهود العيان، وشهادة بولس، وشهادة الأنجيل المؤلف، كلها تؤيد شهادة الإنجيل بحسب مرقس، في صحة تاريخيتها.

وهذه الشهادة بالإجماع للمسيح والإنجيل شهادة أمّة قبل أن تكون شهادة أفراد؛ وهي أيضاً شهادة أفراد في أمة عاصرت أحداث الدعوة الإنجيلية وشهدت لها واستشهدت في سبيلها. وتلك الشهادة المؤلف في الأنجيل، من بيئات مختلفة؛ وتلك الشهادة الجماعية من الرسل والتلاميذ المعاصرين ليسوع، قد أقامت في بيئة الأحداث نفسها، قبل انتشارها في العالم، وبين ظهري اليهود في طول فلسطين وعرضها، بين اليهود معاصري الدعوة المسيحية والكافرين بها؛ فهم لم ينكروا أحداثها، إنما استنكروا معانيها ومراميتها، كما ظلوا يتبجحون بذلك حتى ظهور القرآن الذي كفرهم بدوره ((وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً، وقولهم : ((إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم)) (النساء ١٥٥ — ١٥٦). فشهادة أمّة مؤمنة، في أمة كافرة، برهان تاريخي متواتر على صحة الإنجيل التاريخية عند مرقس، كما عند متى ولوقا ويوحنا.

فالنصارى من اليهود، والمسيحيون من الأميين، آمنوا على عهد الرسل شهود الدعوة المسيحية، إيماناً واحداً بالدعوة الرسولية لها؛ وإنما اختلفوا في تفسير موقفها من شريعة التوراة : فقال النصارى من اليهود بإقامة الإنجيل والتوراة معاً، وقال المسيحيون من الأميين بإقامة الإنجيل من دون شريعة التوراة، لأن الإنجيل في نظرهم ونظر زعمائهم بولس ثم أبولس (في الرسالة إلى العبرانيين) ثم يوحنا الرسول؛ وفي نظر مجمع الرسل بأورشليم بحضور زعماء الفريقين، يعقوب، ((أخي الرب)) وأول أسقف على أورشليم، ممثل النصارى، وبولس وبرنابا ممثلَي المسيحيين؛ قد حرر أتباع المسيح من شريعة موسى فأُمتت في عرفهم كالمسنوخة. وهذا الخلاف يؤيد إجماعهم على صحة إجماع الإنجيل الذي كُتب إليهم (متى) وكتب للأميين (مرقس ولوقا ويوحنا).

فشهادة البيئة المعاصرة للدعوة المسيحية، وشهادة الجماعة الرسولية والكنيسة المعاصرة لها، وشهادة الأناجيل باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني، وشهادة الرسل ((الشهود العيان للكلمة، ودعائها من بعد)) (لوقا ١ : ٢) وأتباعهم من يهود وأميين، وشهادة العلماء المفكرين من الرسل، أمثال بولس وبرنابا وأبولس الذين يفسفون معنى الرسالة وسرّ رسولها إلى أهل الكتاب والأميين — كلها شهادة واحدة، جامعة مانعة، ليسوع التاريخ ومسيح الإيمان. فلا ينكرها، وينكر إجماعها، سوى مكابر لا يؤمن، ويبرّر كفره بالشبهات الباطلة.



بحث ثالث

شبهات ما بين التاريخ والإيمان

إن السيد المسيح دعا بالإنجيل شفويًا، وسلمه لرسله شفويًا. والرسول، شهود الدعوة المسيحية، دعوا هم أيضاً بالإنجيل شفويًا قبل أن يسمحوا بتدوينه. وما بين دعوة المسيح بالإنجيل، ودعوة الرسل للمسيح، يبرز حادث القيامة الذي ثبت إيمان الرسل والتلاميذ في المسيح وفي فهم سره وسر رسالته. أفلا يكون الإيمان مانعاً من رؤية التاريخ الصحيحة، ورواية التاريخ الصحيحة؟ هذا ما يظنه بعضهم.

١- شبهة أولى : الإنجيل تدوين لدعوة الرسل للمسيح أكثر منه تدوين دعوة المسيح نفسها

يقولون : يظهر الإنجيل بأحرفه الأربعة تدويناً لدعوة الرسل للمسيح، أكثر منه تدويناً لدعوة المسيح نفسه. فحاجات الجماعة المسيحية الأولى ومشاكلها تجاه الدعوة المسيحية تبرز من خلال الأناجيل، وقد طغت على الحقيقة التاريخية عند تدوينها. ويرون أن هذه العقدة النفسية في رواية الإنجيل قد بدأت مع مرقس وتطورت مع متى ولوقا، وختمت ببوحنا. فالإنجيل بحسب مرقس، وبأحرفه الأخرى، هو سيرة الجماعة المسيحية في سيرة المسيح.

أجل إن سيرة الجماعة المسيحية الأولى تبرز من خلال سيرة المسيح : فجمع الجدالات الخمسة في الجليل مع الفريسيين (مر ٢ : ١ - ٣ : ٥)؛ وجمع الأمثال (١ : ٤ - ٣٤)؛ وجمع جدالات المسيح مع الفريسيين في سنتهم (٤ : ٢١ - ٢٥ : ٨ ؛ ٣٤ - ٩ : ١ ؛ ٣٧ - ٥٠ : ١١ ؛ ٢٣ - ٢٥)؛ وجمع الأحداث إلى محاور لها أهدافها؛ كل ذلك دليل الدعوة الرسولية بالإنجيل. لكن تطبيق الإنجيل على الحياة في الدعوة به لا يحرف شهادته. وذلك لأن الشهادة الحقة لا تنفصل عن الشاهد الحق؛ ومشاكل الشاهد الحق لا تحور وقائع الشهادة الصادقة الحقة.

يذكر الإنجيل بحسب مرقس قضية الصوم (٢ : ٢٠) وقضية مسحة المرضى بالزيت (٦ : ١٣) وقضية الصلاة (٩ : ٢٩ ؛ ١١ : ٢٤) وقضية القربان في واقعه (١٤ : ١٦ - ٢٥) وفي الرمز إليه (٦ : ٤١ ؛ ٧ : ٦ ؛ ٧ : ٢٥ - ٣٠ ؛ ٨ : ١٤ - ٢١). وقد يكون ذكرها جواباً لحاجات الجماعة المسيحية الأولى؛ لكن ذلك لا يمنع أنها تعليم المسيح نفسه : وما كان الرسل ليفرضوا على المسيحيين غير تعليم المسيح. وبولس المستقل، عندما يذكر شيئاً من عنده يميّزه عن تعليم المسيح الذي تسلمه (١ كو ٧ : ١٠ و ١٢).

وهل تقوم دعوة دينية، بدون تعرّض الداعي لأركان الدين وأحكامه؟ وخصوصاً هل تقوم دعوة المسيح، ختام الدعوات الكتابية كلها، دون الخوض مراراً وبأنواع شتى في أسس الدين وأهدافه؟ فإذا استخدمها الرسل في شهادتهم لها، فهو ليس دليل تحريف لها، إنما دليل الحياة منها.

إن الإنجيل بأحرفه الأربعة، ومرقس بنوع خاص، تدوين لدعوة الرسل بالإنجيل؛ ولكن دعوة الرسل لم تكن سوى نقل لإنجيل المسيح، بحسب بيئات عرضه. ولم يكن الإيمان بالقيامة غشاوة دون رؤية الحقيقة التاريخية كما يقول بطرس نفسه، راوية الإنجيل بحسب مرقس، في بلاغ الدعوة الرسولية الأول :

((فليعلم إذن يقيناً جميع بني إسرائيل أن الله قد جعل يسوع، هذا الذي صلبتموه أنتم، رباً ومسيحاً)) (أع ١ : ٣٦). فمسيح الإيمان في نظرهم هو يسوع التاريخ نفسه. وتدوين الإنجيل لدعوة الرسل به إنما هو تدوين لإنجيل المسيح نفسه.

*

٢ - شبهة ثانية : ليس الإنجيل بحسب مرقس كله رواية بطرس

يقولون : قيمة الإنجيل بحسب مرقس أنه رواية بطرس، شاهد العيان الأول؛ لكن ما بين الأحداث التي يرويها بطرس كشاهد العيان، وبين الأحداث التي يرويها مرقس عن غير بطرس فارق يظهر في الأسلوب من إيجاز وإسهاب. وفي ذلك شبهة على تاريخيتها.

لا، بل هذا الفارق من إيجاز أو إسهاب في الأحداث المروية عن بطرس أو عن غيره، دليل على صحة الإنجيل بحسب مرقس، وعلى صحة روايته عن بطرس. فمرقس يسهب أكثر من غيره في رواية الأحداث التي شهدها بطرس مثل شفاء مخلع كفرناحوم (٢ : ١ - ١٢) وشفاء مجنون الجديين (٥ : ١ - ١٧) وإحياء ابنة يائير رئيس جامع كفرناحوم (٥ : ٢١ - ٤٣) واستشهاد يوحنا المعمدان (٦ : ١٧ - ٢٩) وشفاء مصروع (٩ : ١٤ - ٢٩)، وخصوصاً جحود بطرس لمعلمه (١٤ : ٦٦ - ٧٢). ومرقس يوجز الأحداث التي لم يشهد بها بطرس عن رواية غيره من شهود العيان أو السماع من المسيح، مثل تجربة يسوع (١ : ١٢ - ١٣) ودعوة الرسل الأولين (١ : ١٦ - ٢٠).

ويلحظ الجميع أسلوب مرقس في الإيجاز حتى عن بطرس نفسه : لقد شهد بطرس جدالات يسوع مع الفريسيين في الجليل (٢ : ١٣ - ٣ : ٥)، مع ذلك فمرقس يوردها بإيجاز. فكما نقل مرقس خطب يسوع بإيجاز، نقل معجزاته

بإيجاز. والإيجاز والإطناب في مواضعهما من دلائل الإعجاز في البيان^١ فأضاف مرقس هذا الإعجاز إلى إعجاز السهل الممتنع في روايته.

وكان الرسل يتحدثون فيما بينهم بأقوال المسيح وأعماله؛ وما فات أحدهم كان يعلمه من رفاقه، ويسألون المسيح في الخلوة عن كل شيء : ((وفي الخلوة كان يفسر لتلاميذه الأخصاء كل شيء)) (مر ٤ : ٣٤). فسيرة المسيح ودعوته كانتا تراثاً واحداً وأمانة مشتركة بين رسل المسيح، حملة الإنجيل إلى العالم فما فات بطرس من السيرة أو الدعوة قد عرفه من رفاقه شهودها ومن يسوع نفسه. فالتمييز بين رواية بطرس ورواية غيره، في الإنجيل بحسب مرقس، لا يمس رسولية الإنجيل ولا تاريخيته.

*

٣ — شبهة ثالثة : مسيح الإنجيل هو مسيح الإيمان لا يسوع التاريخ

إن الشبهة الضخمة الرائجة اليوم، وهي موجز جميع الشبهات، أن الإنجيل هو كتاب الإيمان، لا كتاب التاريخ؛ وأن مسيح الإنجيل هو مسيح الإيمان لا يسوع التاريخ.

نقول بنقطة علمية وجرأة إيمانية : إنها شبهة كغيرها، مما سبقها عبر الدهور، ولا حقيقة لها، لعلمنا الراسخ بواقع الإنجيل التاريخي : فلا مسيحية في الإيمان بدون مسيح في التاريخ.

فنحن نعلم أن الإنجيليين يدوتون الإنجيل بعد ثلاثين سنة من دعوة المسيح به؛ ونعلم أنهم يستندون إلى روايات الشهود العيان، ووثائق مكتوبة لا نعرف مصادرها (لوقا ١ : ١ — ٤). ونعلم أيضاً أن الإنجيل بأحرفه الأربعة كتب

(١) السيوطي : الإتيقان .

على نور القيامة، بروح الإيمان، أكثر من روح العلم التاريخي الذي نتطلبه اليوم. ونعلم أن الإنجيل بحسب مرقس رواية تابعي — وإن كان عن شاهد عيان — وإن الإنجيل بحسب لوقا رواية تابعي مهتد من الأمميين، فليس بشاهد عيان — وإن كان عن ((الذين كانوا منذ البدء شهود عيان للكلمة، ثم صاروا دعاة لها)) (لوقا ١ : ٣)؛ وإن الإنجيل بحسب متى الرسول، شاهد العيان، لم يصلنا في حرفه الأرامي، بل في ترجمة يونانية لا سبيل إلى مقارنتها بالأصل المفقود؛ وإن الإنجيل بحسب يوحنا الرسول، مع أنه شاهد عيان ممتاز، قد جاء بأسلوب صوفي.

مع ذلك فصحة الإنجيل بأحرفه الأربعة قائمة على صحة رسوليته، ورسوليته برهان تاريخيته، لأن أبعد الإنجيليين عن المشاهدة العيان، لوقا، ينقل عن ((شهود العيان)) أنفسهم، كما يؤكد في مطلع إنجيله (١ : ١ - ٤)؛ وقد جاء إنجيله بأسلوب تاريخي أكثر من الجميع، لأن بعده عن الأحداث دفعه إلى ((التدقيق والترتيب)) (لوقا ١ : ٤) بحسب ثقافته الهلنستية. وسفر أعمال الرسل الذي ينقل دعوة الرسل الأولى حالاً بعد دعوة المسيح، يؤيد شهادة الأناجيل. ودعوة بطرس في (أعمال الرسل) موجز دعوة الإنجيل بحسب مرقس. وبطرس، مثل سائر الرسل، يبنون الدعوة لمسيح الإيمان، على يسوع التاريخ لدى بني إسرائيل : ((إن الله قد جعل يسوع، هذا الذي صلبتموه أنتم، رباً ومسياً)) (أع ٢ : ٣٦). فمسيح الإيمان هو يسوع التاريخ نفسه في نظر بطرس وسائر الرسل؛ وفي الإنجيل بحسب مرقس، وبحسب سائر الإنجيليين.

فلا سبيل إلى قيام المسيحية، في قلب اليهودية، بدون يسوع التاريخ، ولا مجال لإنكار إجماع الشهادات الإنجيلية، المختلفة في الأساليب والتعابير، والمتفقة على جوهر الأحداث ومعنى رسالة المسيح، وذلك في الأناجيل أنفسها، وفي أعمال الرسل، ورسائل علمائهم مثل بولس، مع شهرة التواتر في صحة الإسناد المرفوع إلى الرسل أنفسهم ((شهود العيان للكلمة ودعاتها)) (لوقا ١ : ٢).

وقبول المسيحيين منذ عهد الرسل لرواية مرقس بأنها رسولية، مع أنه تابعي، ولرواية لوقا بأنها رسولية، مع أنه تابعي، للتلاوة الرسمية في الصلاة — مع رفض الأناجيل المنحولة باسم أعظم الرسل هو برهان لا مرد له على صحة الرواية لأحداث السيرة المسيحية ومعانيها، وعلى صحة نسبتها إلى الإنجيليين، وعلى صحة رسوليتهما وتاريخيتها. إنها شهادة أمة المسيح، لإنجيل المسيح، في بيئة المسيح، قبل أن تكون شهادة أفراد ثقة، عن شهود العيان الأمينين.

فالعلم الصحيح يقضي بصحة الأناجيل الجوهرية التاريخية.

والإيمان بالوحي والتنزيل فيها يقول بعصمتها وصحتها الكاملة الشاملة، لأن الإنجيل حدث تاريخي، وشخص تاريخي، عليهما يُبنى الإيمان والعقيدة في الحدث المذهل في سر أحواله وأعماله وأقواله. وبدون هذا الشخص التاريخي، وهذا الحدث التاريخي، لا عقيدة ولا إيمان. وبدون مسيح التاريخ لا مسيحية تاريخية.

أجل إن الإنجيل بأحرفه الأربعة عرض تاريخي لأحداث السيرة والدعوة المسيحية على نور القيامة المجيدة. ولكن ما كان هذا الإيمان بالقيامة سوى تنمة محتومة لسيرة المسيح ودعوته، وما كان هذا الإيمان ليصير مصدر تحريف للواقع التاريخي؛ بل كان الواقع التاريخي في السيرة والقيامة معاً أساس الإيمان للشهادة والاستشهاد في سبيلها. والشهادة المبنية على الواقع التاريخي المشاهد، والمؤيدة بالاستشهاد — وشهادة الدم لا ترد! — هي شهادة صحيحة قائمة ثابتة للواقع التاريخي والحدث الأعظم في تاريخ البشرية، كما ترويها الأناجيل، وفي طليعتها الإنجيل بحسب مرقس.

فلا وجود لمسيح الإيمان، في نظر الرسل والإنجيليين، بدون يسوع التاريخ.

والإنجيل سيرة نبوة ودعوة دينية، هي خاتمة النبوة والكتاب، لا تاريخ

عادي. لذلك يكتفي الرسل في دعوتهم، والإنجيليون في تدوينها، بما قلّ ودلّ من الأحداث والأقوال، مثل مرقس، لتفجير الإيمان بالرسول والرسالة، مهملين التفاصيل الجغرافية والاجتماعية والسياسية والتاريخية التي تقتضيها كتابة التاريخ بحسب العلم الحديث، ليحملوا الأتباع والمريدين على رؤية يسوع التاريخ في مسيح الإيمان.

ونحن نرى معهم يسوع التاريخ في مسيح الإيمان، في الإنجيل بحسب مرقس كما في سائر الأناجيل، مهما اختلفت الأساليب والتعابير، بحسب الإنجيليين والبيئات وعروضات الإنجيل الأربع فيها. قال الأستاذ جوجل^١، وهو غير متهم بالميل للإيمان على حساب العلم والتاريخ: ((إن الحدث، يسوع، وهو أساس الإيمان المسيحي، له، إذا ما فهم حقّ فهمه، بالإضافة إلى صفته التاريخية معنى يفوق التاريخ والبشرية، يوجز بهذه الكلمة: إن يسوع، في نظر الإيمان، يمثل تدخلاً إلهياً في المصير البشري)).

فمسيح الإيمان هو يسوع التاريخ.

والإنجيل هو كتاب الإيمان وكتاب التاريخ معاً

قال أحدهم في الإنجيل بحسب مرقس، وهو من وريقات معدودات: ((إنه أوجز وأوضح وأغرب وأفنع تاريخ في العالم)) .



(١) Goguel: « Le fait Jésus, qui est le fondement de la foi chrétienne, a bien entendu, en dehors de son **caractère historique**, une signification suprahistorique et supranaturelle, que se résume en ceci que, par la foi, Jésus représente une intervention divine dans le devenir humain » .

Le problème biblique dans le Protestantisme: la critique et la Foi. Paris 1955, p. 32

[Blank Page]

الفصل الثالث تحليل الإنجيل بحسب مرقس

تمهيد : دلائل للتخطيط

بحث أول : الأسس الموضوعية

بحث ثان : تحليل الإنجيل بحسب مرقس

[Blank Page]

تمهيد :

دلائل للتخطيط

منذ القدم يُتهم مرقس بالفوضى في تخطيطه. وهي تهمة ظالمة، كما سنرى من التخطيط الموجز، ومن التخطيط التفصيلي اللذين سنعرضهما.

لقد تنوعت الاجتهادات، في الآونة الأخيرة، لإيجاد المخطط الأوفى للإنجيل بحسب مرقس. فبنى بعضهم مخططه على أساس **جغرافي**، وهو غير واف. وبناء بعضهم على أساس **سيكولوجي** في الصراع القائم بين الإيمان بالمسيح والكفر به فيما بين التلاميذ وزعماء اليهود؛ وهذا واقع، لكنه لا يكفي للتخطيط التفصيلي. وبناء بعضهم على أساس **بياني** في تجميعه حول محاور فكرية، مثل: يسوع والشعب (١ : ١٤ — ٣ : ٦)، يسوع وعشيرته (٣ : ٧ — ٦ : ٦)؛ يسوع وتلاميذه (٦ : ٦ — ٨ : ٣٠)، وذلك في القسم الأول منه (١ : ١٤ — ٨ : ٣٠).

ونحن نرى أن مرقس، راوية بطرس، أوفى من تتبّع حركات يسوع في تنقلاته : فنتبّع جولات يسوع في الجليل، ورحلاته إلى خارج الجليل، بتدقيق وترتيب. لذلك نتبع في تحليله **التخطيط التاريخي** الذي يجمع المخططات الجغرافية والسيكولوجية والبيانية معاً.

*

[Blank Page]

بحث أول

الأسس الموضوعية أولاً : دلائل للكشف عن تخطيطه

١- ثلاثة أحداث كبرى تسيطر على توجيه السيرة عند مرقس : عماد يسوع في مطلعها، وإيمان الرسل في شهادة بطرس بمسيحية يسوع في وسطها، واستشهاد يسوع في ختامها. فشهادة الرسل، بلسان بطرس، تقسم السيرة إلى قسمين : الكشف عن ((سر المسيح)) (١ : ١٤ - ٨ : ٣٠) والكشف عن سر ((ابن البشر)) الشهيد (٨ : ٣٠ - ١٣ : ٣٧). مع قسم ثالث في استشهاد المسيح (١٤ : ١ - ١٦ : ٨).

ونرى في القسم الأول ثلاث بدايات تقسمه إلى ثلاثة أجزاء (١ : ١٤ ؛ ٣ : ٧ ؛ ٦ : ٦)؛ وفي القسم الثاني ثلاث نبؤات، على ثلاث فترات، لسر الصليب، تقسمه أيضاً إلى ثلاثة أجزاء (٨ : ٣١ - ٣٣ ؛ ٩ : ٣٠ - ٣٢ ؛ ١٠ : ٣٢ - ٣٤).

وتتوارد الإشارات إلى بطن فهم الرسل لسر المسيح (٤ : ٤١ ؛ ٦ : ٥١ ؛ ٨ : ١٦ - ٢١)؛ ثم إلى بطن فهمهم لسر ابن البشر المصلوب (٨ : ٣٢ ؛ ٩ : ٣٣ ؛ ١٠ : ٣٥ و ٤١). وفي كلا الحالين يظلون بطيئاً الإيمان (٧ : ١٨ ؛ ٩ : ١٨ و ٢٨ ؛ ١٠ : ٢٤).

٢ - وهناك ظاهرة كبرى، في الإنجيل بحسب مرقس. ليس فيه تنسيق فني للأحداث، بل ينساق انسياقاً مع تيار الأحداث، فيرويها كما وقعت، وحيثما وقعت، ولا يربط بينها برابط ظاهرة، أو تحليل لها : وهذا ما يعطيه صفة التاريخ الواقعي في مخططه. فتتطور السيرة والدعوة بتطور أحداثها.

وفي هذا التطور القصصي، يتداخل تطور سيكولوجي، في اتجاهين متعاكسين : تطور الكفر عند زعماء اليهود وأحزابهم، لأنهم يوجسون خيفة، من دعوة المسيح، عليهم وعلى شريعة موسى؛ وتطور الإيمان عند التلاميذ. وتتعدد عقدة الصراع في شهادة الرسل بمسيحية يسوع، وبدء مؤامرات الفريسيين لاغتيال يسوع. وهذا الصراع يفسر أوامر يسوع بالسكوت عن سر شخصيته (١ : ٣٤ و ٤٤٤ ؛ ٣ : ١٢ ؛ ٥ : ٤٣ ؛ ٧ : ٣٦ ؛ ٨ : ٢٦). وتظهر المفاجأة الصاعقة للرسل بالكشف لهم عن استشهاد المسيح فيهيئ يسوع تلاميذه مدة سنة لقبول سر صلب المسيح، بنبؤات متواترة (٨ : ٣٢ ؛ ٩ : ٣٣ ؛ ١٠ : ٣٥) حتى أتى الأسبوع الحاسم للكشف الصريح عن سر المسيح وسر رسالته بالشهادة والاستشهاد.

٣ — ظاهرة أخرى في الإنجيل بحسب مرقس : إنه يجمع مصادره دون تأليف فني في ما بينها. ففيه ثلاث مجموعات ظاهرة : الخلاقات الخمسة مع اليهود في الجليل (٢ : ١ — ٣ : ٣٥)؛ مجموعة الأمثال على شاطئ البحيرة (٤ : ١ — ٣٤)؛ ومجموعة أحداث الأسبوع العظيم موزعة بحسب أيامه. وهناك مجموعات أخرى ثانوية يسهل تبيانها، مثل هذه المجموعات من شاهد عيان مثل بطرس (١ : ٢١ — ٣٧ ؛ ٤ : ٣٥ — ٥ : ٣٤ ؛ ٦ : ٣٠ — ٥٦ ؛ ٧ : ٢٤ — ٣٥ ؛ ٨ : ١ — ٢٦ ؛ ٨ : ٢٧ — ٩ : ٢٣)؛ أو مثل هذه المجموعات القصصية (١ : ١ — ١٣ ؛ ٣ : ١٣ — ٦ : ١٩ ؛ ٦ : ٦ — ١٣ ؛ ٩ : ٣ — ١٠ : ٥٢ ؛ ١١ : ١ — ٢٥)؛ أو مثل هذه المجموعات التعليمية (٢ : ١ — ٣ : ٦ ؛ ٣ : ٢٠ — ٣٥ ؛ ٤ : ١ — ٣٤ ؛ ٧ : ١ — ٢٣ ؛ ١١ : ٢٧ — ١٢ : ٤٤ ؛ ١٣ : ١ — ٣٧). ويحاول مرقس أحياناً ربط هذه المجموعات بموجز للسيرة أو للدعوة (١ : ١٤ — ١٥ ؛ ٣ : ٧ — ١٢ ؛ ١ : ١٢). وهذا الجمع بدون تأليف محكم يعطي الرواية سمة القصة الشعبي الذي نتخيله عند بطرس، فاحترم مرقس رواية معلمه. وهذا دليل صحة نقله عن معلمه.

٤ — مع ذلك نجد في هذا القصة الشعبي ترتيباً بيانياً أولاً أخذ به مرقس

ليجعل منه **سيرة منظمة**. ففي القسم الأول يستفتح كما جزء بموجز لدعوة يسوع (١ : ١٤ ؛ ٣ : ٧ ؛ ٦ : ٦)، ويختم كل جزء بلمحة خاطفة عن نتائجه : فالفريسيون يتآمرون لاغتيال يسوع (٣ : ٦)؛ وأهل بلدته وبنو قومه ينكرونه ويحاولون اغتياله (٦ : ١ - ٦)؛ بينما يتطور إيمان التلاميذ حتى الشهادة البيئية بمسيحيته (٨ : ٢٧ - ٣٠). وفي القسم الثاني يستهل كل جزء بنبؤة عن مصيره المحتوم وسر الصليب (٨ : ٣٢ ؛ ٩ : ٣٣ ؛ ١٠ : ٣٥). بذلك جعل مرقس قصص بطرس سيرة، لأن الحديث غير الكتابة.

٥ - وهذا الترتيب الأولي في السيرة ينبع، في الإنجيل بحسب مرقس، **من واقع السيرة نفسها**، لا من تنسيق بياني مثل متى، أو تاريخي مثل لوقا. وفي هذا الترتيب الواقعي نلمس **تطوراً في الموضوع** بالكشف عن سر المسيح حتى إعلان الرسل عن إيمانهم به، مع الإصرار المتواتر على التحفظ في الكشف عنه للعامة، خشية إثارتهم وثورتهم (١ : ٤٣ - ٤٤ ؛ ٣ : ١٢ ؛ ٥ : ٤٣ ؛ ٧ : ٣٦ ؛ ٨ : ٢٦ و ٣٠)؛ ثم بالكشف عن سر ابن البشر الشهيد فداءً عن شعبه، كعبد الله في نبؤة أشعيا، مع الإصرار المتواتر أيضاً على التحفظ في الكشف عن سر ابن البشر المصلوب، خشية إثارة العامة على الدعوة (٨ : ٣٢ ؛ ٩ : ٣٣ ؛ ١٠ : ٣٥ و ٤١)؛ وذلك حتى يأتي الأسبوع الحاسم للشهادة الرسمية والاستشهاد المحتوم. ويلاحظ الإنجيلي ببطء فهم التلاميذ سر المسيح (٤ : ٤١ ؛ ٦ : ٥١ ؛ ٨ : ١٦ - ٢١)؛ وبعد استعلانه في شهادة بطرس الزعيم به، ظلوا على بطئهم في فهمه، لأن سر المسيح يسوع تضاعف بسر ابن البشر المصلوب (٧ : ١٨ ؛ ٩ : ١٨ - ٢٨ ؛ ١٠ : ٢٤)؛ ففي تخطيط مرقس، نقلاً عن واقع السيرة، لم يكشف سر المسيح كشفاً نهائياً إلا الشهادة الرسمية في مجلس القضاء الأعلى، والاستشهاد في سبيلها، مع القيامة والرفع إلى السماء.

٦ - **فالواقع التاريخي للسيرة هو ميزة تخطيط الإنجيل بحسب مرقس، بلا تأليف**

ولا تصنع. إنما هو رواية واقعية طبيعية عفوية لسر معجز في السيرة والدعوة ينجلي من الأحداث شيئاً فشيئاً حتى الكشف الأخير.

خلاف واحد في ترتيب الأحداث بين مرقس ومتى : مرقس يقدم التعليم بالأمثال (٤ : ١ — ٣٤) على وصية المسيح لرسله في بعثتهم التدريبية (٥ : ٧ — ١٣) بخلاف متى : وعادةً ترتيب مرقس أفضل بسبب واقعيته، لأن التنسيق الفني غالب على أسلوب متى؛ لكن في هذه القضية قد يكون ترتيب متى أقرب إلى منطق تطور الأحداث.

٧ — وهذا الواقع التاريخي للسيرة الذي اعتمده مرقس يقسم السيرة والدعوة، بحسب تطورها الواقعي، إلى **سبع جولات** في الجليل، وإلى **سبع رحلات** إلى أطراف الجليل حتى أرض الأميين شرقاً وغرباً وشمالاً، وإلى **سبعة أيام** مشهودة في الأسبوع الحاسم للشهادة والاستشهاد.

فتهمة الفوضى في قصص الإنجيل بحسب مرقس تهمة ظالمة : ففيه **تخطيط واقعي** بلا ترتيب فني بياني مثل متى؛ أو تاريخي مثل لوقا، لأنه صورة الواقع الحياتي الذي تصدق فيه كلمة الأديب الفرنسي : إن الفوضى الرائعة آية الفن.^١

*

* *

ثانياً : تخطيط موجز للإنجيل بحسب مرقس

فاتحة : ((بدء إنجيل يسوع المسيح، ابن الله)) (١ : ١ — ١٣).

١ — دعوة المعمدان (١ : ١ — ٨).

٢ — عماد يسوع، وإعلان الله الآب : ((هذا ابني الحبيب)) (١ : ٩ — ١١).

٣ — خلوة يسوع في البرية ما بين الملائكة والشياطين والوحوش (١ : ١٢ — ١٣).

(١) Boileau : « Un beau désordre est un effet de l'art »

القسم الأول : رسالة يسوع في الجليل (١ : ١٤ — ٦ : ٢٣)

١ — جولة أولى في كفرناحوم وضواحيها (١ : ١٤ — ٤٥) — سلطان يسوع الإلهي بالكلمة والمعجزة.

٢ — جولة ثانية على شاطئ البحيرة (٢ : ١ — ٣ : ٦) — يسوع رب النعمة والشريعة خلافاً لخلفاء خمسة مع فقهاء الفريسيين انتهت بمؤامرة أولى لاغتيال يسوع.

٣ — جولة ثالثة ما بين البحيرة والجبل (٣ : ٧ — ٣٥) — الشياطين تعترف بيسوع ابن الله.

٤ — جولة رابعة : التعليم بالأمثال على شاطئ البحيرة (٤ : ١ — ٣٤) — يسوع سيد ملكوت الله.

يسوع يتحول إلى التعليم بالأمثال للكشف عن سر الملكوت.

٥ — جولة خامسة إلى عبر البحيرة (٤ : ٣٥ — ٥ : ٤٣) — يسوع سيد الطبيعة والحياة، في رسالة أولى على أرض المشركين.

٦ — جولة سادسة : إلى الناصرة وضواحيها (٦ : ١ — ٣١) — يسوع يشرك رسله في سلطانه الإلهي بينما ذو يسوع وأهل بلده يتكفرون له.

٧ — جولة سابعة حول البحيرة (٦ : ٣٢ — ٧ : ٢٣) — يسوع هو المحرر الأكبر من المرض وسنة البشر التي تتعارض مع حرية الدين.

*

القسم الثاني : رسالة يسوع خارج الجليل خصوصاً (٦ : ٢٤ — ١٠ : ٥٢).

١- رحلة أولى إلى الغرب حتى نواحي صور وصيدا (٧ : ٢٤ — ٣٠) — سلطان يسوع الإلهي في العمل المعجز — وهي رحلة ثانية إلى أرض المشركين.

٢ — رحلة ثانية إلى الشرق، في ما بين المدن العشر (٧ : ٣١ — ٨ : ٢٦) — سلطان يسوع الإلهي في القول المعجز — وهي رحلة ثالثة إلى أرض المشركين.

٣ — رحلة ثالثة إلى الشمال حتى بانياس (٨ : ٢٧ — ٩ : ١) — يسوع هو المسيح الموعود — وهي رحلة رابعة إلى أرض المشركين.

٤ — رحلة رابعة إلى جبل التجلي (٩ : ٢ — ٣٠) — يسوع هو ابن الله الحبيب.

٥ — رحلة خامسة وداعية في الجليل (٩ : ٣٠ — ٥٠) اسم يسوع المعجز.

٦ — رحلة سادسة إلى شرق الأردن (١٠ : ١ — ١٠ : ٣١) — يسوع المصلح الأكبر.

٧ — رحلة سابعة على الطريق إلى اورشليم (١٠ : ٣٢ — ٥٢) — يسوع هو ابن داود أي المسيح.

*

القسم الثالث : رسالة يسوع في اورشليم واستشهاده (١١ : ١ — ١٦ : ٨)

(مأساة في سبعة فصول، على سبعة أيام)

١ — أحد الشعانين : يسوع يدخل العاصمة والهيكل دخول المسيح الموعود (١١ : ١ — ١١) — إنه المسيح الملك.

الأسس الموضوعية _____ ٨٩

٢ — الاثنين العظيم : يسوع يطهر الهيكل من تجار الدين (١١ : ١٢ — ٢٧) إنه مجدد الدين الأكبر.

٣ — الثلاثاء العظيم : الجدل الحاسم مع السلطة والأحزاب اليهودية (١١ : ٢٨ — ٣٧) — إنه ابن داود وربه.

٤ — الأربعاء العظيم : يسوع يودع أصدقاءه — المؤامرة الأخيرة لاغتياله (١٤ : ١ — ١١) — إنه سيد مصيره وسيد التاريخ.

٥ — خميس الأسرار : العشاء السري — محاكمة يسوع الدينية (١٤ : ١٢ — ٧٢) — إنه ((المسيح ابن المبارك)) .

٦ — الجمعة العظيم : محاكمة يسوع المدنية واستشهاده (١٥ : ١ — ٤٧) — ((في الحقيقة كان ابن الله)) — وهذه الكلمة هي فصل الخطاب لتصدير فاتحته (١ : ١) .

٧ — أحد القيامة : ملاك عند القبر الخالي يبشر بقيامة المسيح (١٦ : ١ — ٨) — بالقيامة يظهر ((رباً ومسياً)) .

*

خاتمة : المسيح الحي الخالد (١٥ : ٩ — ٢٠)

١ — ظهور يسوع حياً لرسله (١٥ : ٩ — ١٤) — إنه الحي الباقي.

٢ — الرسالة العالمية (١٥ : ١٥ — ١٨) — الخلاص بالإيمان إنه المسيح ابن الله.

٣ — الصعود إلى السماء والجلوس عن يمين الأب (١٥ : ١٩ — ٢٠) — يسوع هو المسيح ابن الله الحي الخالد.

*

* *

بحث ثان

تحليل الإنجيل بحسب مرقس

فاتحة : ((بدء إنجيل يسوع، المسيح، ابن الله)) (١ : ١ - ١٣)

مطلع : ((النبوة والكتاب)) يشهدان ليسوع ببعثة المعمدان سابقه (١ : ١ - ٣) .

١ - رسالة المعمدان شهادة ليسوع (١ : ٤ - ٨) .

٢ - شهادة الله ليسوع يوم عماده (١ : ٩ - ١١) .

٢ - خلوة يسوع الاستعدادية تظهره سيد الكون (١ : ١٢ - ١٣) .

*

* *

القسم الأول : رسالة يسوع في الجليل

مطلع ١ - دعوة المسيح الأولى : ((لقد تمّ الزمان! وأتى ملكوت الله! فأمنوا بالبشرى)) (١ : ١٤ - ١٥) .

٢ - اختيار الرسل الأولين (١ : ١٦ - ٢٠) .

فصل أول : جولة أولى في كفر ناحوم وضواحيها :

يظهر فيها المسيح ربّ الكلمة والمعجزة

١ - شفاء مجنون في جامع كفرناحوم : يسوع هو ((قدوس الله)) (١ : ٢١ - ٢٨) .

٢ - شفاء حماة بطرس بلمسة من يد يسوع (١ : ٢٩ - ٣١) .

- ٣ — أشفية بالجملة في مساء السبت الأول في كفرناحوم (١ : ٣٢ — ٣٤).
 - ٤ — جولة أولى في القرى المجاورة : دعوة ومعجزات (١ : ٣٥ — ٣٩).
 - ٥ — مثال من الجولة الأولى شفاء أبرص (١ : ٤٠ — ٤٥).
- ختام** : انتشار شهرة يسوع (١ : ٤٥).

*

فصل ثان : جولة ثانية على شاطئ البحيرة — بدء الصراع مع الفريسيين.

يظهر فيها المسيح رب الشريعة والنعمة

- ١ — خلاف أول : في سلطان يسوع على الغفران، بمناسبة مخلع كفرناحوم (٢ : ١ — ١٢).
 - ٢ — خلاف ثان : في تصرف يسوع الحر مع الخاطئين، بمناسبة دعوة متى ووليمته (٢ : ١٣ — ١٧).
 - ٣ — خلاف ثالث : في التحرر من سنتهم في الصوم (٢ : ١٨ — ٢٢).
 - ٤ — خلاف رابع : في حرمة السبت — يسوع رب السبت (٢ : ٢٣ — ٢٨).
 - ٥ — خلاف خامس : في حرمة السبت والجامع (٣ : ١ — ٥).
- ختام** : المؤامرة الأولى لاغتيال يسوع (٣ : ٦).

*

فصل ثالث : جولة ثالثة، إلى الجبل

يظهر فيها المسيح ربّ الإنس والجنّ

- ١ — أشفية بالجملة على الشاطئ تجعل الشياطين تصيح : أنت ابن الله! (٣ : ٧ — ١٢).

٢ — انتخاب الاثني عشر ((ليكونوا معه ويرسلهم للدعوة)) (٣ : ١٣ — ١٩) : فهم صحابته ورسله.

٣ — محاولة أولى من عشيرته لحجزه كمتعوه! (٣ : ٢٠ — ٢١).

٤ — إطلاق إشاعة السحر على أعمال يسوع المعجزة (٣ : ٢٢ — ٣٠).

٥ — محاولة ثانية من ((أخوة)) يسوع لحجزه (٣ : ٣١ : ٣٥).

*

فصل رابع : جولة رابعة : التعليم بالأمثال على شاطئ البحيرة

يظهر فيها رب ملكوت الله

مطلع : يسوع يعلم من سفينة على البحيرة، لزحمة الشعب (٤ : ١ — ٢).

١ — مثل الزارع — سبب التعليم بالأمثال؛ وتفسير المثل (٤ : ٤ — ٢٠).

٢ — مثل السراج (٤ : ٢١ — ٢٣).

٣ — مثل الكيل بالمثل (٤ : ٢٤ — ٢٥).

٤ — مثل الحب الذي ينبت من ذاته (٤ : ٢٦ — ٢٩).

٥ — مثل حبة الخردل (٤ : ٣٠ — ٣٢).

ختام : التعليم بالأمثال أسلوب يسوع للكشف عن سر الملكوت؛ وفي الخلووة يفسر لرسله كل شيء (٤ : ٣٣ — ٣٤).

*

فصل خامس : جولة خامسة على الشاطئ الشرقي من البحيرة

يظهر فيها المسيح رب الطبيعة والحياة

١ — على الطريق، في البحيرة، تسكين عاصفة هوجاء بكلمة (٤ : ٣٥ — ٤١).

٩٣ _____ تحليل الإنجيل بحسب مرقس

٢ — شفاء مجنون جرّش — سلطان يسوع الإلهي على الشياطين (٥ : ١ — ١٣)
في رحلة أولى إلى أرض المشركين.

٣ — خوف أهل جرّش من سلطانه الإلهي (٥ : ١٤ — ٢٠)

٤ — شفاء المدمية المزمّنة في طريقه إلى بيت يائير (٥ : ٢٥ — ٣٤)

٥ — إحياء ابنة يائير، أحد رؤساء جامع كفرناحوم (٥ : ٢١ — ٤٣)

*

فصل سادس : جولة سادسة إلى الناصرة وضواحيها

يظهر فيها المسيح سيد سلطانه، يسلمه إلى رسله

١ — حيرة أهل الناصرة بأمر مواطنهم العظيم (٦ : ١ — ٦)

٢ — جولة يسوع، وبعثة الرسل التدريبية (٦ : ٧ — ١٣)

٣ — حيرة هيردوس الصغير بأمر يسوع (٦ : ١٤ — ١٦)

٤ — استشهاده المعمدان نذير ليسوع (٦ : ١٧ — ٢٩)

٥ — عودة الرسل ظافرين من بعثتهم (٦ : ٣٠ — ٣١)

ختام : الازدحام المتزايد حول يسوع ورسله (٦ : ٣١)

*

فصل سابع : جولة سابعة حول البحيرة

يظهر فيه المسيح سيد الطبيعة والشريعة والسنة

١ — في شمال البحيرة، معجزة تكثير الأرغفة الخمسة لخمسة آلاف رجل (٦ : ٣٢ — ٤٤)

- ٢ - في طريق العودة، يسوع يمشي على مياه البحر! (٦ : ٤٥ - ٥٢)
- ٣ - أشفية بالجملة في الساحات العامة، بلمس طرف ثوب يسوع (٦ : ٥٣ - ٥٦)
- ٤ - تحرير الشريعة من سنّة الفريسيين (٧ : ١ - ١٣)
- ٥ - نسخ التحريم في الأطعمة (٧ : ١٤ - ٢٣).

*
* *

القسم الثاني : رسالة يسوع خارج الجليل خصوصاً

بسبب ملاحقة السلطات والأحزاب اليهودية لیسوع، نراه يعتزل الجليل وينصرف إلى تعليم رسله. وبرحلاته إلى خارج الجليل ينقل دعوته من القومية إلى العالمية، بدعوته على أرض المشركين غرباً وشرقاً وشمالاً.

فصل أول : رحلة أولى إلى الغرب حتى نواحي صور وصيدا (رحلة ثانية إلى أرض الشرك)

يظهر فيها المسيح رحمة للعالمين

مثال رحمته : شفاء ابنة أجنبية مشركة - عن بعد! (٧ : ٢٤ - ٣٠)

*

فصل ثان : رحلة ثانية إلى شرق البحرية وجنوبها

تظهر فيها بشرية يسوع مصدر البركة للناس.

١ - في أرض المدن العشر المشركة : شفاء أصم أكن بريق يسوع (٧ : ٣١ - ٣٧) وهي رحلة ثالثة إلى أرض الشرك.

٩٥ _____ تحليل الإنجيل بحسب مرقس

٢ — في أرض المدن العشر المشتركة : معجزة تكثير الأرغفة السبعة لأربعة آلاف رجل (٨ : ١ - ٩)

٣ — في دَلْمُونُوثَا، جنوب البحيرة، الفريسيون يتحدّون يسوع بمعجزة من السماء (٨ : ١٠ - ١٣) فيرفض يسوع التحديّ.

٤ — على البحيرة، من الجنوب إلى الشمال : التحذير من خمير الفريسيين (٨ : ١٤ - ٢١)

٥ — في بيت صيدا، شمال البحيرة، شفاء أعمى يريق يسوع (٨ : ٢٢ - ٢٦)

*

فصل ثالث : رحلة ثالثة، إلى الشمال حتى بانياس وجبل الشيخ، وهي الرابعة إلى أرض المشركين.

يظهر فيها يسوع أنه المسيح، وأنه ابن الله

١ — في الطريق : السؤال الأكبر : مَنْ أنا ؟ — أنت المسيح! (٨ : ٢٧ - ٣٠).

٢ — الكشف الأكبر : المسيح الحقيقي هو مسيح الصليب والقيامة (٨ : ٣١ - ٣٣).

٣ — دعوة الشعب إلى حمل صليب الحياة مع يسوع (٨ : ٣٤ - ٣٨).

لأن ظهور ملكوت الله يتم في جبل الحاضرين مع يسوع (٩ : ١).

٤ — تجلي المسيح إليها على جبل الشيخ : الله الأب يعلن المسيح ابنه الحبيب (٩ : ٢ - ١٣). كشف المسيح لرسله عن سره في أرض المشركين.

٥ — شفاء مصروع مسكون، في أرض بانياس (٩ : ١٤ - ٢٩).

*

فصل رابع : رحلة رابعة وداعية في الجليل.

يكشف فيها المسيح أنه الفادي باستشهاده

في جولة بالجليل، يسوع يفسر لرسله سر المسيح والصليب (٨ : ٣٠ - ٣٢).

*

فصل خامس : الرحلة الأخيرة الوداعية إلى كفرناحوم

المسيح هو الأسوة الحسنة المطلقة

١ - الخلاف على الزعامة، والطفولة المسيحية (٩ : ٣٣ - ٣٧).

٢ - اسم يسوع وحده يُخرج الشياطين من الناس (٩ : ٣٨ - ٤٠).

٣ - جزاء المعروف إلى تلاميذ المسيح (٩ : ٤١).

٤ - جناية التشكيك (٩ : ٤٢ - ٤٩).

٥ - ملح التعايش السلمي بين التلاميذ (٩ : ٥٠).

*

فصل سادس : رحلة المسيح ورسالته في شرق الأردن.

يسوع المسيح هو المعلم الإلهي

١ - المسيح ينسخ الطلاق (١٠ : ١ - ١٢)

٢ - الطفولة المسيحية شرط الدخول إلى ملكوت الله (١٠ : ١٣ - ١٦)

٣ - طريق الوصية وطريق الكمال، للوصول إلى الحياة الأبدية (١٠ : ١٧ - ٢١)

٤ — التجرد المسيحي شرط ثان للدخول إلى ملكوت الله (١٠ : ٢٢ — ٢٧)

٥ — جزاء التجرد لاتباع يسوع (١٠ : ٢٨ — ٣١)

*

فصل سابع : الرحلة السابعة، على طريق أورشليم

الشعب ينادي بيسوع أنه ابن داود

١ — للمرة الثالثة يسوع يتنبأ لرسله عن استشهاده في أورشليم (١٠ : ٣٢ — ٣٤)

٢ — الزعامة المسيحية فضل من الله وعطاء (١٠ : ٣٥ — ٤٠)

٣ — في المسيحية، السيادة خدمة وتضحية على مثال المسيح (١٠ : ٤١ — ٤٥)

٤ — أعمى أريحا، ابن تيماء، يبصر بمناداته بيسوع أنه ابن داود (١٠ : ٤٦ — ٥٢)

*

* *

القسم الثالث : رسالة المسيح الأخيرة في أورشليم، واستشهاده

(مأساة بسبعة فصول على سبعة أيام)

فصل أول : في أحد الشعانين يسوع يدخل دخول المسيح الموعود إلى أورشليم.

يسوع هو المسيح الملك الموعود

١ — تحضير جحش النبوة للمسيح (١١ : ١ — ٦)

٢ — المظاهرة الشعبية، والمناداة بمملكة داود الآتية (١١ : ٧ — ١٠)

٣ — يسوع يحتل الهيكل (١١ : ١١)

*

فصل ثان : يوم الاثنين العظيم

المسيح هو مصلح الدين الأعظم

- ١- التينة العقيمة، مثال إسرائيل (١١ : ١٢ - ١٤)
- ٢- تطهير الهيكل من تجار الدين (١١ : ١٥ - ١٧)
- ٣- بدء المؤامرة الأخيرة لاغتيال يسوع (١١ : ١٨ - ١٩)

*

فصل ثالث : يوم الثلاثاء العظيم

يسوع هو ابن داود ورثه معاً

- مطلع :** مثل التينة اليابسة؛ ضرورة الإيمان والصلاة (١١ : ٢٠ - ٢٦)
- ١ - **الجدال الأول الحاسم مع السنهدرين في سلطان يسوع**
 - (١) الجدل مع وفد السنهدرين في سلطان يسوع (١١ : ٢٧ - ٣٣)
 - (٢) منزلة يسوع في تاريخ النبوة والكتاب - مثل الكرامين القتلة (١٢ : ١ - ٩)
 - (٣) يسوع هو حجر الزاوية في بناء الدين (١٢ : ١٠ - ١١)**ختام الجدل الأول :** فشل محاولتهم في توقيف يسوع (١٢ : ١٢)
 - ٢ - **الجدال الثاني الحاسم، مع الأحزاب اليهودية، في تعليم يسوع**
 - (١) جدال مع الفريسيين والهيروديين، في دفع الجزية لقيصر (١٢ : ١٣ - ١٧) :
« أعطوا ما لقيصر، وما لله لله » .
 - (٢) جدال مع الصدوقيين في قيامة الموتى (١٢ : ١٨ - ٢٧)

٣) جدال مع الكتبة، علماء الشريعة، في الوصية العظمى (١٢ : ٢٨ — ٣٤).

٣ — يسوع ينتقل إلى التحدي : المسيح ابن داود وربّه!

١) تحدّي يسوع لعلماء الشريعة : كيف يكون المسيح ابن داود وربّه معاً (١٢ : ٣٥ — ٣٧)

إنه الإعلان النهائي، بتورية نبوية بارعة، في سر شخصيته.

٢) تحدّي يسوع لعلماء الشريعة في سلوكهم (١٢ : ٣٨ — ٤٠)

٣) تحدّي يسوع للأغنياء، في قصة فلس الأرملة (١٢ : ٤١ — ٤٤)

٤ — حديث خاص : خراب الهيكل والمدينة سابقة لرجوع المسيح

مناسباته : النبوة الكبرى، والسؤال عن زمن تحقيقها (١٣ : ١ — ٤)

١) يوم أورشليم الأكبر : طلائع الكارثة (١٣ : ٥ — ١٣)

النكبة الكبرى (١٣ : ١٤ — ٢٣)

٢) يوم ابن البشر الأكبر (١٣ : ٢٤ — ٢٧)

٣) زمن اليومين العظيمين :

زمن يوم أورشليم : في نهاية الجيل الحاضر (١٣ : ٢٨ — ٣١)

زمن يوم ابن البشر ورجوعه الثاني : علمه عند الله الأب (١٣ : ٣٢ — ٣٧) — وهو من باب تجاهل العارف.

*

فصل رابع : يوم الأربعاء العظيمة

يسوع سيد مصيره والمصير

- ١ — مؤامرة الرؤساء والعلماء لاغتيال يسوع (١٤ : ١ — ٢)
- ٢ — في عشاء وداعي يسوع يعلن لأصحابه مصيره العاجل والآجل (١٤ : ٣ — ٩)
- ٣ — خيانة يهوذا (١٤ : ١٠ — ١١)

*

فصل خامس : ((خميس الأسرار))

يسوع هو ((المسيح ابن الله المبارك))

- مطلع : تهيئة الفصح (١٤ : ١٢ — ١٦)
- ١ — العشاء السري مع رسله في العلية الصهيونية
(١) إعلان خيانة يهوذا (١٤ : ١٧ — ٢١)
(٢) سر القربان المسيحي رمز الفداء (١٤ : ٢٢ — ٢٥)
(٣) بعد العشاء، على الطريق، الإعلان عن شك الرسل وجحود بطرس (١٤ : ٢٦ — ٣١)
 - ٢ — في بستان الزيتون، من ضيعة جنسماني
(١) يسوع يعتزل عن رسله، مع الثلاثة المقربين منهم ويوصيهم بالسهر معه (١٤ : ٣٢ — ٣٤)
 - (٢) نزاع يسوع وصلاته ثلاث مرات لقبول الصليب (١٤ : ٣٥ — ٤٢)
 - (٣) القبض على يسوع بخيانة أحد رسله، يهوذا (١٤ : ٤٣ — ٥٢)

٣ - محاكمة المسيح الدينية أمام السنهدرين، مجلس القضاء اليهودي الأعلى

- (١) التحقيق مع يسوع في إهيته، والإعلان الأعظم ((أنا هو)) (١٤ : ٥٣ - ٦٢)
- (٢) الحكم بالإعدام - إهانة المسيح في غرفة المحاكمة (١٤ : ٦٣ - ٦٥)
- (٣) ججود بطرس للمسيح، بسبب جارية (١٤ : ٦٦ - ٧٢)

*

فصل سادس : يوم الجمعة العظيمة

استشهاد المسيح : شهادة الدم للمسيح الملك، ابن الله

توطئة : شوري السنهدرين عند الصباح لتنفيذ الإعدام (١٥ : ١)

١ - المحاكمة المدنية أمام الوالي الروماني

- (١) التحقيق المدني مع المسيح : إنه المسيح الملك (١٥ : ٢ - ٥)
 - (٢) الوالي يحاول إنقاذ يسوع بواسطة الشعب (١٥ : ٦ - ١٠)
 - (٣) فشل المحاولة : الشعب، بتأثير زعمائه، يطلب صلب المسيح (١٥ : ١١ - ١٤)
- ختام المحاكمة : الحكم بإطلاق المجرم ابن عباس، و صلب المسيح (١٥ : ١٥)

٢ - درب الصليب

- (١) جلد المسيح (١٥ : ١٥)
- (٢) تكليل المسيح بالشوك، ما بين سخرية الجند (١٥ : ١٦ - ٢٠)
- (٣) تسخير سمعان القيرواني لحمل الصليب وراءه (١٥ : ٢٠ - ٢٢)

٣ - على جبل الاستشهاد الأعظم

(١) صلب المسيح عند الظهر (بين الثالثة والسادسة) ما بين الشماتة العامة :

شماتة الشعب (١٥ : ٢٩ - ٣٠)

شماتة الرؤساء والعلماء (١٥ : ٣١ - ٣٢)

شماتة المصلوبين معه (١٥ : ٣٢)

٢ - موت المسيح عند العصر (الساعة التاسعة).

— ما بين ظلمات ثلاث : ظلمة في الطبيعة (١٥ : ٣٣)

وظلمة في نفس المسيح البشرية (١٥ : ٣٤)

وظلمة على الحاضرين (١٥ : ٣٥ - ٣٧)

وتعزيات ثلاث : تعزية من هيكل الرب (١٥ : ٣٨)

وتعزية بإيمان القائد الوثني (١٥ : ٣٩)

وتعزية من النساء الحاضرات (١٥ : ٤٠ - ٤١)

(٣) دفن المسيح، قبل المغرب، في محبة صامتة

الوجيه يوسف يطلب من الوالي جثمان المسيح (١٥ : ٤٢ - ٤٥)

يوسف ونيقوديم يكفنان المسيح ويدفنانه في قبر جديد (١٥ : ٤٦)

والنساء المؤمنات شاهدات صامتات باكيات (١٥ : ٤٧)

*

تحليل الإنجيل بحسب مرقس _____ ١٠٣

فصل سابع : أحد القيامة المجيدة

قيامه المسيح برهان الله على بنوه المسيح ورسالته

توطئة : بعد مغرب السبت العظيم : النساء يشترين حنوطاً (١ : ١٦)

١ — في الصباح الباكر النساء يذهبن إلى القبر، في حيرة (١٦ : ٢ — ٤)

٢ — المفاجأة الكبرى : القبر الخالي، وظهور ملاك الرب بالبشرى العظيمة (١٦ : ٥ — ٦)

٣ — رسالة النساء إلى الرسل بالبشرى المجيدة (١٦ : ٧ — ٨)

*
* *

خاتمة الإنجيل (١٦ : ٩ — ١٤)

١ — بعض ظهورات المسيح (١٩ : ٩ — ١٤)

٢ — الرسالة المسيحية : الدعوة بالإنجيل للخليقة كلها (١٦ : ١٥ — ١٨)

٣ — المسيح هو الحي الباقي، في السماء مع الأب، وعلى الأرض مع كنيسته (١٦ : ١٩ — ٢٠)



[Blank Page]

الفصل الرابع أسلوب الإنجيل بحسب مرقس

بحث أول : أسلوبه اللغوي

بحث ثانٍ : أسلوبه الإنشائي

بحث ثالث : أسلوبه القصصيّ

بحث رابع : أسلوبه البيانيّ

[Blank Page]

توطئة :

إنه يمثل العرضة الأولى للإنجيل

بما أن النص الأرامي للإنجيل بحسب متى لم يصلنا، بل ذاب مع أهله النصارى اليهود في أغوار التاريخ؛ فالإنجيل بحسب مرقس هو العرضة الأولى لإنجيل المسيح.

في هذه العرضة الأولى للإنجيل تتجلى البساطة والطبيعة والحيوية والواقعية الإنجيلية بأجلى معانيها وتعابيرها : فالإنجيل بحسب مرقس يروي الواقع المسيحي الإنجيلي، كما يراه ابن الشعب، بطرس، الذي يغزو الإيمان شيئاً فشيئاً قلبه وعقله وحسه وشعوره.

فلا نظريات كلامية ولا شطحات صوفية، بل تصوير الواقع التاريخي المشاهد على علته ومظاهره. فهو ((حديث)) منقول لإنجيل المسيح، أكثر منه ((كتاباً مرفوعاً)) إلى المسيح.

فجاء الإنجيل بحسب مرقس معجزاً في بساطته؛ وهذا الإعجاز فيه يسمونه في البيان والبديع إعجاز ((السهل الممتنع)).



[Blank Page]

بحث أول

أسلوبه اللغوي

إنه أسلوب المحدث الشعبي؛ فلا تتسابق فيه، كما عند متى؛ ولا تسلسل تفصيلي، كما عند لوقا. فهو يكتب كما يتكلم معلمه بطرس. وبما أننا نعرف ثقافة مرقس العالية، من بيئته العائلية، فهذه شهادة له على صحة روايته الرسولية، وعلى صحة تاريخيتها.

فهو لا يعرض قصصه بحسب فن مدرّس، بل ينقلها كما وردت على لسان معلمه؛ وهذا يضطره إلى الاستطراد المتواتر أثناء الوصف والقصص، لتفهيم القارئ (٧ : ٣٢ ؛ ١٠ : ٢٢ ؛ ١٥ : ٢٥ ؛ ١٦ : ٤)

وهو يسكب قصصه على وتيرة واحدة، في إنشائه وأسلوبه؛ ولا ينوعها كما يعمل فنان محترف؛ قابل مثلاً (٧ : ٣١ - ٣٧ مع ٨ : ٢٢ - ٢٦ ؛ ١١ : ١ - ٦ مع ١٤ : ١٣ - ١٦ ؛ ١ : ٢٥ - ٢٧ مع ١٤ : ٣٩ - ٤١)

وتأتي تعابيره متماثلة في المواقف المتماثلة : في تجمع الشعب (٣ : ١٣ و ٢٣ ؛ ٦ : ٧ ؛ ١٤ : ٨ ؛ ١ : ٣٤ ؛ ١٠ : ٤٢ ؛ ١٢ : ٤٣ ؛ ١٥ : ٤٤)؛ وفي تسريح المستمعين (٤ : ٣٦ ؛ ٨ : ١٣)؛ وفي استفهام الرسل أو تعليمهم على حدة : فهم في بيت (٧ : ١٧ ؛ ٩ : ٢٨ و ٣٣ ؛ ١٠ : ١٠)، أو على الطريق (٨ : ٢٧ ؛ ٩ : ٣٣ ؛ ١٠ : ٣٢)، أو في موضع قفر (١ : ٣٠ و ٤٥ ؛ ٦ : ٣١ - ٣٢)، أو في معزل عن الشعب (٧ : ١٧ و ٣٣) .

ويمتاز الإنجيل بحسب مرقس في نظرة يسوع الساحرة الفاحصة؛ لكن التعبير عنها متشابهٌ بلا تنوع (٣ : ٥ و ٣٤ ؛ ٥ : ٣٢ ؛ ١٠ : ٣٢ ؛ ١١ : ١١)، إلا في موضعين يخرق فيهما نظر يسوع إلى أعماق النفس، حينئذٍ يتغير التعبير (١٠ : ٢١ و ٢٧).

ويمتاز الإنجيل بحسب مرقس بسلطان يسوع القهار في دعوة الناس إليه، لكن التعبير عنه متشابه في شتى المواقف : فالمعلم ((يدعو)) تلاميذه بسلطان لا يُقاوم (٣ : ١٣ ؛ ٦ : ٧)، كذلك بيلاطس ((يدعو)) إليه قائد المئة (١٤ : ٤٤)؛ ويسوع ((يدعو)) الشعب، ويخصه بتعليمه، مميّزاً له عن الفريسيين (٧ : ١٤)؛ و ((يدعو)) التلاميذ، مميّزاً لهم عن الشعب (٨ : ١) بالتعبير ذاته يسوع ((يدعو)) التلاميذ وحدهم (١٠ : ٤٢ ؛ ١٤ : ٤٣). فلا تغيير في التعبير؛ وقد يكون ذلك للتقرير.

والأسلوب اللغوي عند مرقس أقرب إلى الأسلوب السامي العبري الأرامي الذي يربط الجمل بعطفها بعضاً على بعض، بدلاً من تأليفها جملاً مركبة بعضها على بعض بحسب العوامل السببية والغائية والظرفية، كما في الأسلوب الإغريقي. لذلك فأسلوبه اللغوي أقرب إلى أسلوب المسيح في حديثه الشعبي مع الجماهير اليهودية.

وقرأته من الأسلوب الأرامي، في لغته اليونانية، تظهر من كثرة التعابير الأرامية المنقولة بحرفها إلى اليونانية، على علاتها لا يفن كما عند لوقا. وعندما يشعر أن التعبير الأرامي لا يفهمه القارئ، فهو يفسره له، مثل ((بوانرجس)) (٣ : ١٧)، ((طاليتا قوم)) (٥ : ٤١)، ((افتح)) (٧ : ٣٤)، ((أبًا)) (١٤ : ٣٦)، ((ألوهي، ألوهي لما شبقثاني)) (١٥ : ٣٤). وإذا ما استخدم تعابير يونانية دارجة في الشرق، وقد لا يفهما الشعب الروماني، فهو يترجمها له بتعبير لاتيني في حرف يوناني (١٢ : ٤٢ ؛ ١٥ : ١٦).

فالمحدث عبراني، لشعب روماني، بكلام يوناني : وهذه دلائل لغوية على صحة الإنجيل، وصحة روايته بطرس، وصحة بيئته الرومانية.

ويلحظ العارفون **بالنحو اليوناني** أن مرقس قد يلحن فيه. وذلك راجع إلى أسلوبه الشعبي، المثقل بالرواسب الأرامية، والأصح أن ما يستضعفونه فيه ليس سوى نقل حرفي لتعبير أرامي، راعى فيه الأمانة للأصل أكثر من الفصاحة في النقل، فلم ينطبق على فقه اللغة اليونانية. مثال ذلك : ((وكتب كتابة)) (٥ : ٢٦)؛ ((حفروا حفرة)) (٢ : ٤)؛ قابل (٤ : ٢ ؛ ٧ : ٣٣ ؛ ٩ : ٢ ؛ ١٤ : ٣٣)، ومثال ذلك أيضاً ترديد الضمير، بلا داع في اليونانية (١ : ٧ ؛ ٧ : ٢٥). بينما هو في اللغات السامية نحوً وبياناً، كالمفعول المطلق أو المقابلة العبرية *Parallélisme* ، يعدونه في اللغات الهندو — أوربية ضعفاً وركاكة، لاختلاف فقه اللغات، كقوله : ((أرسلنا إلى الخنازير، كي ندخل فيها)) (٥ : ١٢)؛ قابل أيضاً (٦ : ٣ ؛ ٧ : ١٣ ؛ ١٣ : ١٩ — ٢٠). ويقول العارفون أيضاً إن الأسلوب الشائع في اليونانية قريب من الأسلوب السامي. وهذا الأسلوب المستهجن في اليونانية الفصحى، هو ميزة الأسلوب السامي الصحيح الفصيح؛ فلا ضير على الإنجيل في استخدامه، نقلاً عن أصله. وهذا دليل لغوي آخر، في الأسلوب؛ على صحة النقل.

ويلحظ العارفون **بالإنشاء اليوناني** أن تأليف الكلمات في الجملة، وتأليف الجمل في الكلم، يأتي بأسلوب العطف ((بالواو)) ، لا بأسلوب التركيب اليوناني. فهو يعطف التعابير بعضها على بعض، والجمل بعضها على بعض ((بالواو)) فتكون سببية (٨ : ٣٤) أو زمانية (١٥ : ٢٥) أو ظرفية (١ : ١٩ ؛ ٤ : ٣٧). وهو أسلوب هجين مستهجن في اليونانية، بينما هو الأسلوب الفصيح في اللغات السامية. ومن أثر السامية فيه أنه نحو **ثمانين مقطوعاً** بحرف العطف، زيادة على تكراره. في المقطع الواحد (١ : ٢١ — ٤٥ ؛ ٦ : ٣٠ — ٤٤)؛ وأنه يخلو

من ((إذن))^١ التعقبية في نتائج القياسات؛ كما يخلو من الربط اللفظية المألوفة في اليونانية، وغير الواردة في السامية. وهذا دليل آخر من الإنشاء، على صحة النقل عن الأرامية التي نطق بها المسيح.

فالإنجيل بحسب مرقس، في أسلوبه اللغوي، أقرب في لغته ونحوه وبيانه إلى الأرامية، منه إلى اليونانية. وما يعدونه عيباً في لغتهم، نعدّه صحيحاً في لغاتنا السامية. فأسلوب مرقس اللغوي صحيح في أصله الأرامي، ضعيف في أسلوبه اللغوي اليوناني. وما يعتبره الغربيون عيباً لغوياً، نعتبره نحن الشرقيين فخراً في لغاتنا السامية. وقد كان بطرس، ومن ورائه ترجمانه مرقس، أميناً في نقل الإنجيل إلى اليونانية، في الأوساط الرومانية. وقد أثر مرقس الحرفية في الترجمة، على حساب اللغة والبيان والأسلوب في اليونانية، دليلاً على الصحة و التاريخية.



(١) نجد ((إذن)) ثلاث مرات عند مرقس (١٠ : ٩ ؛ ١٣ : ٣٥ ؛ ١٥ : ١٢) وإحدى وثلاثين عند لوقا، وسبعاً وخمسين عند متى، ونحو مائتين عند يوحنا.

بحث ثان

أسلوبه الإنشائي

لقد رأينا التآليف الإنشائي في الإنجيل بحسب مرقس. إنه لغة التخاطب أكثر منه فن الكتابة.

والآن نرى ميزات أسلوبه الإنشائي : إنه يمتاز بثلاث خواصّ.

فهو **يجمع الأحداث جمعاً** بعضها إلى بعض، ولا يربط بينها بتسلسل منسجم متسلسل منطور منسق، كما يفعل فنّان؛ إنما يأتي القصص فيه بلا ربط تعليلية، على علته كما في واقع الحياة، وهو ليس بحاجة إلى تعليل أو تحليل لأن أحداثه المجموعة جمعاً تنطق من ذاتها، ودلالاتها في واقعيتها وحقيقتها. فهي تتساب كالسيل العرم.

وهو **ينتقل بالأحداث فجأة**، بدون تمهيد ولا تعقيب، كأن روايته قصص متلاحق الأحداث، متنوع المشاهد، تزدحم ازدحاماً، فلا مجال فيه لتعليل أو تحليل. بل هو تصوير الواقع الملموس، بالأسلوب المحسوس.

والتصوير الفني فيه يظهر في ما أسموه ((**اللقطات المرقسية**)) التصويرية التي انفرد بها الإنجيل بحسب مرقس، لأنه رواية بطرس الشاهد العيان الذي يلاحظ

التفاصيل الواقعية التي تكسب الرواية تلك الحيوية النابضة التي نشعر بها فيه.

ونلاحظ أن الهدف التاريخي والهدف التعليمي متلازمان فيه؛ فهو يسرد أحداث السيرة كما وقعت لكنه يجمعها أحياناً مجموعات يسهل حفظها آيات وأحداثاً. وهذه الميزة فيه تجعله، كما قلنا، يكرر تعابيره نفسها في مواقف شتى من وصف أو تعليم. ولتسهيل الحفظ، فهو لا ينوع أساليب التفكير والتعبير، كما يطلب الفن الإنشائي اليوناني، بل تأتي على وتيرة واحدة، لأن شغله الشاغل هو تصوير الواقع تصويراً حياً لا الاهتمام بالصورة الفنية ذاتها.

والفارق الأكبر بين الإنشاء السامي والإنشاء الإغريقي، أن الإغريقي يؤلف بين الجمل تاليفاً معللاً، بينما الإنشاء السامي من عبراني وأرامي وعربي فهو يجمعها جمعاً (بالواو) الدائمة. وقد يبدأ مطالع الآيات أو الفقرات نفسها (بالواو)، بحسب الأسلوب السامي، الذي ينبو عنه الذوق الإغريقي، كما في قوله يسرد قصصاً (٨ : ٢٦؛ ١٠ : ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣١ و ٣٢؛ ١٢ : ٢٤ و ٢٩؛ ١٤ : ٣ و ١٩؛ ١٦ : ٦)، أو ينقل كلمات يسوع (٣ : ٣٥؛ ٤ : ٢٩؛ ٥ : ٣٩؛ ١٠ : ٢٥؛ ١٢ : ٩ و ٢٠ و ٢٣ و ٢٧ و ٣٦ و ٣٧؛ ١٣ : ٦ و ٧ و ٨ و ٩؛ ١٥ : ٣٤؛ ١٤ : ٦ و ٨ و ٤١ و ٦٤).

فارق آخر بين الإنشاء السامي والإنشاء الإغريقي أن الأسلوب السامي لا يعرف الاستنتاج بحرف ((إذن)) مثل الإغريقي الذي يهواه. وأنت تجد ((إذن)) نحو مثني مرة عند يوحنا، وسبعاً وخمسين عند متي، وإحدى وثلاثين عند لوقا. لكن ثلاث مرات فقط عند مرقس (١٠ : ٩؛ ١٣ : ٣٥؛ ١٥ : ١٢). وحيث يستخدم متي أو لوقا ((إذن))، فمرقس يهملها (٤ : ٤ و ٢٤؛ ٩؛ ٣٠؛ ٥٠ : ١٢؛ ٩ و ١٠ و ١٧ و ٢٠ و ٢٣ و ٣٧؛ ١٣ : ٤).

فالصفة السامية الأرامية ظاهرة على إنشاء الإنجيل بحسب مرقس أكثر من سائر الأنجيل. وهذا دليل آخر على صحة روايته.

وميزة مرقس على سواه أنه ينفرد باستعمال الفعل في صيغة الحاضر لا على صيغة الماضي، كأن الحدث يجري الآن أمامنا، وكأن المحدث مشترك فيه يستحضره لنا. وبطرس، الشاهد العيان، هو راوية الإنجيل بحسب مرقس فكأن الأحداث لم تنزل حية في نفسه، يرويها كأنه يشاهدها. وهذه ميزة الشاهد العيان أكثر من الفنان. وفي اجتماع الواقع والفن بلغ الإنجيل بحسب مرقس الإعجاز بالفطرة، من حيث لم يقصده بالصنعة.



بحث ثالث

أسلوبه القصصي

أسلوب مرقس القصصي أقرب إلى القصص الشعبي، منه إلى القصص الفني المدروس، مثل قصص متى البياني، وقصص لوقا التاريخي وقصص يوحنا الرمزي.

يمتاز أسلوبه القصصي بثلاث ميزات : الواقعية والطبيعية والحيوية.

١- ميزته الأولى : الواقعية

الإنجيل بحسب مرقس رواية شاهد العيان الممتاز، سمعان بطرس، ابن الشعب، الذي يلفت نظره المحسوسات الواقعية.

فهو أغنى الأناجيل بأوصاف البيئة الشعبية : ففيه إحدى عشرة صفة مختلفة للبيت وأجزائه؛ وعشر صفات للثياب؛ وتسع للأطعمة.

وله **ولع بالإعداد**، فهو ينقل نحو ست وثلاثين مرة عدداً مركزاً، منها تسع مرات ((الاثني عشر)) ، ومرتان ((ثلاثة أيام)) ، وعشر مرات أعداد أخرى مكررة. ونلاحظ أن هذا التكرار للتقرير.

ويميل إلى استخدام **التصغير** على أنواعه. فقد يذكر مثل متى ((الفتات

الساقط الذي تلتقطه صغار الكلاب ((٧ : ٢٧ = متى ١٥ : ٢٦)، والسمكات الصغار (٨ : ٧ = متى ١٥ : ٣٤). لكنه ينفرد بوصف ابنه يائير أنها ((بُنيّة)) (٥ : ٤١ قابل متى ٩ : ٢٤)؛ ويسمع أب فتاة أخرى يصيح : ((إن بُنيّتي في أشد الوجع)) ! (٥ : ٢٣ ؛ ٧ : ٢٥)؛ ووحده يذكر ((السفينة الصغيرة)) (٣ : ٩)، ((والحذاء الصغير)) (٦ : ٩)، و ((طرف أذن)) حاجب رئيس الكهنة الذي قطعه بطرس بضربة خائف في بستان الزيتون (١٤ : ٤٧).

والإنجيل بحسب مرقس يزخر بالتفاصيل الحية الرائعة المنتزعة من صميم الحياة والواقع. ففي دعوة ابني زبدي ((يبقى الأب وحده مع العمال)) (١ : ٢٩)؛ وفي السبت الأول، من الدعوة في كفرناحوم، ((عند المساء كانت المدينة كلها عند باب البيت)) (١ : ٣٣) بيت سمعان واندراوس أخيه (١ : ٢٩)؛ ونرى الشعب يضايق يسوع ((حتى لم يعد له وقت للأكل)) (٦ : ٣١)؛ وقد يضطر يسوع إلى إبعاد ((سفينة صغيرة يحتاط بها عند ازدحام الشعب)) في تعليمه على شاطئ البحيرة (٣ : ٩)؛ وينفرد بملاحظة ((مخلع على سرير يحمله أربعة، ويدلونه من السقف أمام يسوع)) (٢ : ٣)؛ ونرى معه الشعب يسبق يسوع إلى شرق البحيرة مشياً على الأقدام (٦ : ٣٣)؛ وقبل معجزة تكثير الخبز نرى يسوع يأمر بتوزيع الناس مئات وخمسينات ((على العشب الأخضر)) (٦ : ٢٩)! ونرى يسوع يمر ماشياً على مياه البحر كأنه يريد أن يتجاوز السفينة (٦ : ٤٨) أو ((نائم على وسادة)) لا يكثرث للعاصفة ولا للغرق! (٤ : ٣٨)؛ وفي شفاء الأصم الأكم في بيت صيدا نرى يسوع يلمس بريقه لسان الأكم، ويضع إصبعه في أذن الأصم، ويقول له بالأرامية : ((إفتح)) (٧ : ٣٣)؛ وعلى طريق أورشليم نرى يسوع يمشي وحده في الطليعة إلى الموت، والتلاميذ يتبعونه وجليين (١٠ : ٣٢)؛ وفي أحد الشعانين نرى الجحش الذي يطلبه يسوع مربوطاً بحلقة الباب إلى جانب أمه (١١ : ٤).

تلك ((اللقطات المرقسية)) دليل واقعية الإنجيل، كما شاهدها بطرس.

ومن واقعته أيضاً تعليماته عن عدد الأشخاص والأشياء، وذكر الأسماء والأماكن بكثرة لا مثيل لها عند زملائه.

ومن تفاصيل مرقس نعرف ما جرى في الأسبوع الأخير الحاسم يوماً فيوماً. لا يفوقه بالتحديد إلا يوحنا، الشاهد العيان الممتاز الثاني الذي كانت حدائمه ومحبتة ليسوع تجعله يصور في نفسه كل شيء.

فالواقعية في الإنجيل بحسب مرقس ميزة ظاهرة على كل تفاصيله.

*

٢ – ميزته الثانية : الطَّبَعِيَّة في فنه القصصي

فن الإنجيل بحسب مرقس تصوير للواقع كما يراه ابن الشعب، بدون نظريات كلامية مثل متى، أو إنسانية مثل لوقا، أو صوفية مثل يوحنا. فالواقع المسيحي الذي أثر في لبّ بطرس راويته أسمى من واقع الحياة المألوفة، فهو وحده يستثيره فيؤخذ مسحوراً به، فيشركنا بإحساسه المأخوذ، وبشعوره المسحور. ففيه تتم الكلمة المأثورة : إن من البيان لسحراً. وهنا بيان الفطرة، وسحر الواقع.

ففي نظر الإنجيل بحسب مرقس، سحر الواقع أفضل من سحر البيان. لذلك فهو يتباطأ في تصوير المشهد، بتكرار التعبير عنه على لسان المشتركين فيه. خذ مثلاً تبرئة الخاطئة — ربما مريم المجدلية : فيسوع يعلن أن خطاياها مغفورة لها؛ ويدمدم علماء الشريعة : مَنْ يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده؟ فيكرر يسوع : إن ابن البشر له السلطان على الأرض أن يغفر الخطايا (٢ : ٥ و ٧ و ٩ و ١٠). فتصوير الواقع أعطى فتناً لتقرير ميزة كبرى في شخصية المسيح الإلهية، هو فن الطَّبَعِيَّة. وهو أسلوب متواتر عند مرقس (٢ : ١٥ الخ؛ ٦ : ٣١ و ٣٢ و ٣٥؛ ٩ : ١١ و ١٢؛ ١٠ : ٣٨ و ٣٩؛ ١٢ : ٤١ و ٤٤؛ ١٥ : ٤٤ و ٤٥).

وهو يُبرز الكلمة المقصودة في الرواية، كما يفعل المحدث الماهر؛ وإن لم يبلغ شأو متى في فن العنوان. يساعده في ذلك أسلوب تكرار المعنى بحسب فنّ المقابلة بين شطري الآية، كقوله في مجنون جرش: ((ولم يكن في وسع أحد أن يضبطه — حتى بسلسلة))! (٥: ٣) وهو أسلوب مضطرد عند مرقس (١: ٤٤؛ ٢: ٢؛ ١٠: ٢٠ و ٢٧؛ ٥: ٣٧؛ ٦: ٥؛ ٧: ١٢؛ ٩: ٨؛ ١١: ١٤؛ ١٢: ٢٤ و ٣٤؛ ١٤: ٢٥ و ٦٠ و ٦١؛ ١٥: ٤ و ٥؛ ١٦: ٨). وتلك الكلمة العنوان قد تأتي اسماً أو صفة في مطلع القصة، كقوله: ((إن الذي قطعت رأسه، يوحنا، هو الذي قام))! (٦: ١٦)؛ أو جملة في أثناء الحديث، كقوله في أعمى بيت صيدا: ((إني أرى الناس، أراهم كأنما هم أشجار تمشي)) (٨: ٢٤)؛ قابل كذلك (٧: ٢؛ ١١: ٣٢؛ ١٢: ٣٤).

وتلك الأساليب تضيء على إنشاء الإنجيل بحسب مرقس طبعية تنبع من أسلوبه الشعبي، حيث تصير الفطرة فناً عبقرياً.

*

٣ — ميزته الثالثة: الحيوية في الرواية

إنها حيوية في التعبير، وحيوية في الموضوع، وحيوية في التفكير، لا يحد منها سرد القصص على وتيرة واحدة، ولو كان مختلف الموضوع، مثل تسكين عاصفة (٤: ٣٩ — ٤١) وإخراج شيطان (١: ٢٥ — ٢٧)؛ أو شفاء أعمى بيت صيدا (٨: ٢٢ — ٢٦) والأصم الأبكم (٧: ٣٢ — ٣٦)؛ أو دعوة يسوع في كفرناحوم (١: ٢٦ — ٢٧) وفي الناصرة (١: ٢ — ٦) أو الدخول إلى أورشليم في أحد الشعانين (١١: ١ — ٦) وتهيئة العشاء السري (١٤ — ١٦). فالتصميم الواحد في سرد الأحداث دليل وحدة الراوي ووحدة الإنجيل.

حيوية الأسلوب القصصي تظهر في تعبيره. فمرقس، نقلاً عن رواية بطرس،

يقص بصيغة الحاضر، لا بصيغة الماضي. فلا يزال الماضي مائلاً أمام عينيه يروييه كما يشاهده. يذكرون من ذلك ١٥١ مثلاً، منها ٧٢ في فعل ((يقول)) . ومرقس مثل معلمه بطرس مأخوذ بقصصه، فهو يمزج فيه صيغ الفعل مزجاً كقوله : ((وأوصاهم قائلاً : لا تحملوا شيئاً! .. وقال لهم : أي بيت دخلتم فهناك أقيموا)) (٥ : ٧ - ٩) . قابل أيضاً (١ : ٢٩ - ٣١ و ٣٥ و ٣٨ ؛ ٢ : ١٣ الخ ؛ ٣ : ١٣ - ١٤ و ٣١ - ٣٣ ؛ ٦ : ٣٠ - ٣٢ ؛ ١٥ : ١٦ - ٢٠) . وتلك الحيوية في التعبير تظهر في الانتقال من الغيبة، إلى الحاضر، كقوله : ((وأتوا كفرناحوم، وللحال يوم السبت دخل الجامع فجأة وأخذ يعلم ... فأمره يسوع : اخرج من الرجل)) (١ : ٢١ - ٢٨) . ونرى أن مرقس نقل في صيغة الماضي : ((وأتوا كفرناحوم)) ما كان بطرس يقوله بصيغة المتكلم : ((وأتينا كفرناحوم)) . قابل أيضاً الانتقال في صيغ الأفعال في قوله (١ : ٢٩ - ٣١ ؛ ٥ : ١ - ٣٨ ؛ ٦ : ٥٣ ؛ ٨ : ٢٢ ؛ ٩ : ١٤ و ٣٠ و ٣٣ ؛ ١٠ : ٣٢ و ٤٦ ؛ ١١ : ١ و ١٢ و ١٥ و ١٩ - ٢١ و ٢٧ ؛ ١٤ : ١٨ و ٢٢ و ٢٦ و ٣٢) .

وحيوية الأسلوب القصصي تظهر أيضاً في الموضوع. فمرقس لا يروي سيرة المسيح متسلسلة مثل لوقا، بل ينتزع منها مشاهد لأيام مشهودة، مثل السبت الأول في كفرناحوم، ومثل يوم التعليم بالأمثال على شاطئ البحيرة ومثل الجدل الحاسم يوم الثلاثاء العظيمة؛ أو يجمع مشاهد من فترات معلومات مثل الخلافات الخمسة مع الفريسيين في مطلع الدعوة، أو الخلافات في سنة الفريسيين، أو الخلافات في سلطانه وتعليمه في الأسبوع الحاسم الأخير. وهذا التركيز في الموضوع على ما قلّ ودلّ، يبعثه كله حياة.

وحيوية الأسلوب القصصي تظهر أخيراً في تفكيره، على أنواع.

تظهر في فن المقابلة العبري الذي يعبر عن فكر ثم يؤكد بتعبير آخر، كقوله : ((وللحال ذاع خبره في كل مكان - حتى أطراف الجليل)) (١ : ٢٨) ، أو كقوله : ((وعند المساء - بعد مغرب الشمس)) (١ : ٣٢) . وتلك

الإيضاحات المكررة تأتي بمناسبة المكان (١ : ٣٨ و ٤٥)، أو الزمان (١ : ٣٥ ؛ ١٦ : ٢)، أو ((الأيام الأخيرة)) (٢ : ٢ ؛ ١٠ : ٣٠ ؛ ١٣ : ٢٩) . وقد ترد في تكرار الفكرة لتقريرها؛ ((ففارقته الحمى — وشفى)) (١ : ٤٢ ؛ ٤ : ٣٩ ؛ ٥ : ١٩ و ٣٩ ؛ ٦ : ٤ ؛ ٨ : ١٧ ؛ ١٤ : ٦ و ١٥) . وتظهر أيضاً في الوصف (٥ : ١٩ و ٢٣ ؛ ٦ : ٢٥ ؛ ١٠ : ٢٢ ؛ ١٢ : ١٤ و ٤٤ ؛ ١٤ : ٣٠ و ٦٨) .

وتظهر خصوصاً في الاستطرادات التفسيرية (٣ : ١٤ — ١٦ ؛ ٦ : ١٤ ؛ ٧ : ١٨ و ٢٥ ؛ ١٣ : ١٠ و ١٤ ؛ ١٤ : ٢٦)؛ أو في الاستدراكات التفسيرية (٣ : ١٦ ؛ ٤ : ٣١ ؛ ٥ : ٢٣ ؛ ٦ : ٨ ؛ ١١ : ٣٢ ؛ ١٢ : ١٩ و ٣٨ — ٤٠ ؛ ١٤ : ٤٩) .

وتظهر أخيراً بأجلى بيان في تلك ((اللقطات المرقسية)) أو ((اللوحات الخاطفة التصويرية)) التي تلتقط على الفور إشارة أو وقفة أو فكرة تصوّر الواقع الحيوي أروع تصوير، مثل نوم يسوع على ((وسادة)) في مؤخرة السفينة وسط العاصفة! أو كختم قصة إحياء ابنة يائير : ((فقامت تمشي، لأنه كان لها من العمر اثنتي عشرة سنة)) (٥ : ٤٢) . قابيل (١ : ١٦ ؛ ٣ : ٢١ ؛ ٥ : ٢ ؛ ٨ : ٢٨ ؛ ٦ : ١٤ و ١٧ و ٣١ ؛ ١٠ : ٢٢ ؛ ١١ : ١٣ ؛ ١٤ : ٢ ؛ ١٥ : ٢٥ ؛ ١٦ : ٤٠) .

وقد ميّز العلامة الأب لاغرنج^١ بين اللقطات المرقسية على هامش القصة^٢؛ وبين اللقطات التي تصوّر عواطف المشتركين في الأحداث أو المشاهدين^٣.

(١) لاغرنج : الإنجيل بحسب مرقس؛ المقدمة ٧٥ .

(٢) على هامش القصة (١ : ١٩ و ٢٠ و ٢٩ و ٣٣ و ٣ : ٢ و ٣ و ١٤ و ٢٣ ؛ ٣ : ٩ و ٢٠ و ٣٢ ؛ ٤ : ١ و ٣٨ و ٥ : ٦ و ١٥ و ٣٢ و ٤٢ ؛ ٦ : ٣ و ٢٨ و ٣١ و ٣٣ و ٣٩ و ٤٠ و ٤٨ ؛ ٧ : ٣٠ و ٣٣ ؛ ٨ : ١٤ و ٢٤ ؛ ٩ : ٣ و ١٤ و ١٥ و ٢٠ و ٢٦ ؛ ١٠ : ١٧ و ٤٦ و ٥٠ ؛ ١١ : ٤ و ٧ و ١٣ و ١٦ و ٢٠ ؛ ١٢ : ٤١ ؛ ١٣ : ١٤ ؛ ٣ : ١٣ و ٤٠ و ٥١ و ٥٤ و ٦٨ ؛ ١٥ : ٨ و ٢١ و ٣٦) .

(٣) عواطف المشاهدين (١ : ٤١ ؛ ٣ : ٥ و ٣٤ ؛ ٦ : ٢٠ و ٢٥ و ٣٤ ؛ ٦ : ٢٠ و ٢٥ و ٣٤ ؛ ٨ : ٢ و ١٢ و ٣٢ و ٣٣ ؛ ٩ : ١٩ و ٣٦ ؛ ١٠ : ١٤ و ١٦ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٧ و ٣٢ و ٤١ ؛ ١١ : ١١ ؛ ١٥ : ٤٣) .

وقد ميّز الأستاذ تيلور^١ بينها اللقطات المأخوذة من الواقع، لا من مخيلة الراوي (١ : ٢٠؛ ٣ : ٢ و ٤ و ٢٣؛ ٣ : ٩؛ ٤ : ٣٦ و ٣٨؛ ٥ : ٣١ و ٤٠؛ ٦ : ٢٧ و ٣٧ و ٣٩ و ٤٨ و ٥٣)؛ وهي مفقودة في المقاطع التي يوجز فيها مرقس رواية معلمه بطرس، الشاهد العيان للأحداث (٣ : ١٣ و ١٩ و ٢١؛ ٤ : ١٠ و ١٢؛ ٦ : ٦ و ١٣؛ ٩ : ٩ و ١٢؛ ١٠ : ٤١ — ٤٥؛ ١٤ : ١ — ٢ و ١٠).

ومن البديهة أن تلك اللقطات المرقسية دليل على رواية شاهد عيان ممتاز، يشترك في الأحداث ويصوّرها كما ظلت حية في ضميره ووجدانه. وهي تدل أيضاً على تاريخية الرواية عن الشاهد العيان الممتاز؟ فهو يرويها لأنها انطبعت في مخيلته، لا لأنها ضرورية للرواية، ولا هي ضرورية للتعليم أو للدفاع : فهي لا تزيدنا علماً بشخصية يسوع، ولا تزيد في إعجاز معجزاته. إنما وردت تلك اللقطات في الرواية لأنها من صميم الواقع والحياة؛ وهي التي تطبع أسلوب الإنجيل بحسب مرقس بتلك الحيوية الفذة، والتصوير الفني.

فأسلوب مرقس القصصي أقرب إلى القصص الشعبي ومفاجأته، منه إلى القصص المدرس. وفي هذا عنوان صدقه على صحة نقله. فهو يصوّر الواقع كما وقع، وكما بقي حياً في نفس راويته بطرس، وينتزع المشاهد من صميم الحياة المشاهدة؛ وفي ذلك بساطته الواقعية، وطبيعته الفذة، وحيويته الوافرة؛ تلك الميزات المثلى التي تصوّر الواقع تصويراً فنياً، بالفطرة لا بالصنعة.



(١) تيلور : الإنجيل بحسب مرقس ٥٣ .

بحث رابع

أسلوبه البياني

أسلوب الإنجيل بحسب مرقس البياني هو أسلوب الواقع الموصوف لا أسلوب الفن المدروس. فهدفه أن يظهر ((يسوع المسيح ابن الله)) (١ : ١) من أعماله المعجزة، مثل هدف الإنجيل بحسب يوحنا (٢٠ : ٣١). لكن شتان ما بين أسلوب مرقس الواقعي، وأسلوب يوحنا الرمزي والصوفي. فمرقس يسرد عن معلمه بطرس الواقع التاريخي، وفيه البيان الكافي الشافي لمظاهر سلطان المسيح الإلهي على الملاك والشيطان والإنسان والكون : فأعمال يسوع تدل على شخصيته الإلهية.

وأسلوبه البياني لا يقوم على تقديم سيرة كاملة للمسيح، بل على ذكر أيام مشهودة، وأسابيع معلومة، وتجميع معجزات أو جدالات مشهورة، مثل السبت الثاني في كفرناحوم (١ : ٢١ - ٢٩)، أو السبت الأول بعد دعوة الرسل (١ : ١٤ - ٢٠) والخلافات الخمسة (٢ : ١ - ٣ : ٣٤)، ويوم الأمثال المشهود على شاطئ البحيرة (٤ : ١ - ٣٥)، ويوم المعجزات الممتاز (٤ : ٣٥ - ٥ : ٤٣)، ويوم الجدل الكبير في بعل زبوب، والسنة الفريسية (ف ٧)، ويوم الجدل الأكبر في هيكل أورشليم، يوم الثلاثاء العظيمة (١١ : ١٩ - ١٢ : ٤٧)؛ ونقل بعض الأعمال البارزة والأقوال المعجزة في

جولات يسوع ورحلاته. فهو يكتفي من السيرة والدعوة بما قلّ ودلّ، لذلك سمّاه أحد الأقدمين ((سيد الموجزين)) ، وإن كان في بعض قصصه أطول من غيره. فجمع في بيانه الإيجاز والإطناب، وهما جناحا الإعجاز.

ويأخذ قصصه الواقعي في بيانه ميزة الدراما : فسيرة المسيح عنده صراع ظاهر بين المسيح وإبليس وأعوانه من الإنس والجن^١ على سلطان العالم. لذلك كانت أكثر معجزات يسوع في طرد الشيطان من الإنسان. ويفتح الإنجيل بالأحداث التي يعلن فيها الشياطين أنهم عرفوه، ونادوا بإلهيته وتخاذلوا وتذلّلوا أمامه، وقد وردت رواية هذا الصراع المستميت بين المسيح وإبليس على سلطان العالم، بأسلوب قصص شعبي، في الإنجيل بحسب مرقس؛ بينما سيرد في الإنجيل بحسب يوحنا بأسلوب رمزي صوفي يرفعه إلى ذروة الدراما. وتلك الموافقة بين مرقس ويوحنا في الهدف والأسلوب، مع ما في أسلوبيهما من تفاوت، دليل الواقع التاريخي. فالإنجيل بحسب مرقس تفصيل لما قاله بطرس في البلاغ الأول للأمميين: ((مسحه الله ... فكان يشفي جميع الذين تسلط عليهم إبليس لأن الله كان معه)) (أع ١٠ : ٣٨).

يكفي مرقس، نقلاً عن معلمه بطرس، للدفاع البياني عن إلهية يسوع المسيح وبنوته من الله (مر ١ : ١) أن يروي الواقع الملموس من أعماله المعجزة التي تفيض من يسوع أيضاً يفوق الطبيعة، من دون اللجوء إلى الكلام مثل متى، ولا إلى البيان التاريخي مثل لوقا، ولا إلى الصوفية الرمزية مثل يوحنا. فسحر بيانه في الواقع المحسوس الملموس الذي يُظهر أن المسيح هو ((ابن الله)) و ((ابن البشر)) معاً.

دوّن مرقس الإنجيل، بحسب رواية بطرس، للرومانيين لكي يبين لهم من

(١) نأخذ كلمة جن كمرادف للشياطين .

سيرة يسوع أنه ((ابن الله)) (مر ١ : ١). مع ذلك فهو يرينا أيضاً بشرية يسوع في أجلى مظاهرها. وقد يذكر ليسوع أعمالاً وأقوالاً تتعارض ظاهرياً مع غايته، لكنها في الحقيقة تبين الثنائية في شخصية المسيح. فأهل يسوع يعتبرونه مجنوناً (٣ : ٢١) وتهمة الجنون بحق الأنبياء مألوفة. ويسوع هو ((النجار، ابن مريم))، وأخوته وأخواته أحياء يُرزقون (٦ : ٣). ولم يستطع هناك أن يصنع شيئاً من المعجزات، ما خلا أنه شفى بعض المرضى بوضع يديه عليهم)) (مر ٦ : ٥) وتحذاه علماء الفريسيين بمعجزة من السماء مثل معجزة المن عند موسى، فتمنّع (٨ : ١٢). ورد صفة ((الصالح)) عنه ((إذ لا صالح إلا الله وحده)) (١٠ : ١٨). ويتظاهر أنه لا يعرف أيان يوم الدين، المحفوظ للآب وحده (١٣ : ٣٢) وعلى الصليب يقول : ((إلهي إلهي لماذا تركتني)) (١٥ : ٣٤).

فتلك المواقف السبعة تدل دلالة أكيدة على بشرية يسوع؛ كما تدل تصاريحه وسلطانه ومعجزاته على إلهيته. فيسوع المسيح شخصية واحدة ثنائية : إلهية وبشرية معاً؛ وهذا هو الواقع الحياتي المذهل، في رواية تاريخية بسيطة صادقة، بساطتها تدل على صدقها، وصدقها قائم على المشاهدة العيان.

دليل آخر على الواقعية في بيانه أنه ينقل لنا صورة صادقة عن بطرس وسائر الرسل **في مبادئهم وأمجادهم : فهم بلا فهم (٤ : ١٣ ؛ ٧ : ١٨)**، مع ذلك فقد تبعوا يسوع للحال حين دعاهم، وظلوا ثابتين في كل الأزمات. إنهم بطيئو الإيمان (٦ : ٥٢ ؛ ٨ : ١٤)، مع ذلك فقد أعلن الرسل، بلسان بطرس، وبوحي إلهي خاص، أنه المسيح ابن الله؛ فبطرس يعلن مسيحية يسوع ومع ذلك يتشكك من سر الصليب (٨ : ٣٣ الخ) إنهم يشعرون بسر المسيح وهو يطلعهم

(١) قد يكون جواب المسيح هنا تورية لطيفة لرفع إيمان الشاب إلى رؤية إلهية يسوع، من صفة ((الصالح)) التي يصفه بها الشاب، ولا تليق إلا بالله .

عليه، مع ذلك لا يفهمون استشهاده! فبطرس وابنا زبدى يشاهدون تجلّي المسيح، وحين النزاع ينامون، وحين القبض عليه يهربون. يسوع يجعل بطرس زعيم رسله وصحابته، وبطرس ينكره أمام جارية! يهتئ الرسلُ ليسوع دخول الفاتحين إلى أورشليم، دخول المسيح ابن داود، مع ذلك لمّا أزفت الساعة ((تركوه كلهم وهربوا))! ويظهر صدق رواية الإنجيل بحسب مرقس، إن بطرس لم يذكر تنصّيبه صخراً لكنيسة المسيح، بيده الحل والربط — وبطرس لم يذكر عن تواضع ما كان الجميع يعرفون — بل ذكر بالتفصيل جحود معلمه الحبيب في الموقف الحاسم.

ويظهر بيان مرقس الواقعي في **الكشف عن سر المسيح المحفوظ**. فهو لا يذكر ليسوع، مثل متى ولوقا، نسباً بشرياً، بل يتناول سيرته في بدء رسالته، كأنه شخص هبط من الغيب والملا الأعلى. فهو ينتسب دائماً إلى أبيه السماوي. وينقل لنا مرقس اللقب الشعبي المؤلف في الناصرة : ((النجار ابن مريم)) (٦ : ٣)؛ ينقله مرقس لمعناه البعيد، فهو لا أب له على الأرض بين البشر؛ فلا ينتسب إلا إلى أمه، وأبيه السماوي — ولا ذكر البتة فيه ليوسف. ويتستّر يسوع، في إظهار شخصيته، وراء لقب ((ابن البشر))، لمعناه البعيد في نبوة دانيال. ويتحفظ يسوع في إظهار ((مسيحيته))، ويأمر من يطلع على ((سر المسيح)) أن يخفيه، ((حتى يقوم ابن البشر من بين الأموات)) . ولقب ابن البشر، في الكشف عن سر المسيح أبلغ من اسم ((المسيح)) لأنه يرقى بهم من بشريته إلى إلهيته، كما ورد في نبوة دانيال التي استشهد بها المسيح في محاكمته أمام السنهدرين (١٤ : ٦١ — ٦٢). فمرقس يرگز السيرة على ((سر المسيح)) المختوم، المورى عنه بلقب ((ابن البشر))، والذي يكشفه يسوع لرسله شيئاً فشيئاً، بينما يظل محجوباً عن الشعب لئلا يثور ويعثر، حتى اليوم الحاسم والأسبوع الأخير، فيبدأ بالإعلان الصارخ في أحد الشعانين، والجدل الأعظم يوم الثلاثاء العظيمة في سلطانه وتعليمه، فيصرخ يسوع في الهيكل أمام السلطات

والأحزاب والجماهير أنه ابن داود وربّه معاً. فكانت الشهادة والاستشهاد عند التصريح بسرّ المسيح. ففي هذا التحفظ الواقعي بسرّ المسيح حتى النهاية بلغ الإنجيل بحسب مرقس الإعجاز البياني في قصصه.

ومن سحر البيان في شخصيته المسيح نظر يسوع الساحر الفاحص الذي يخرق الأشياء والأشخاص : ((فأجال نظره فيما حوله)) (٣ : ٣٤)؛ ((وأدار نظره ليرى التي فعلت)) (٥ : ٣٢)؛ ((فأجال نظره في كل شيء)) (١١ : ١١). وما أجمل قوله في الشاب الذي يسأل عن صراط الحياة : ((فحدق فيه يسوع وأحبه)) (١٠ : ٢١). فنظر يرى سرائر الناس، ويخترق حجب الغيب، إنما نظر إله أكثر مما هو نظر إنسان!

والصورة التي يصوّرها الإنجيل بحسب مرقس لسلطان يسوع تظهره سلطاناً إلهياً أكثر منه بشرياً. فمنذ خلوته الاستعدادية لرسالته، وصراعه مع إبليس يظهر يسوع سيد الكون: ((وللحال حمله الروح إلى البرية، فأقام في البرية أربعين يوماً عرضة لتجارب الشيطان. وكان مع الوحوش. وكانت الملائكة تخدمه)) (١ : ١٢ - ١٣). وفي سياق الإنجيل نرى الملائكة تخدمه، والشياطين تخاف منه، والطبيعة تتقاد له صاغرة، والناس يزحمونه للاستشفاء بكلمة منه أو إشارة، أو لمسة يد، أو مسّ هذب ثوبه. والله الأب يثبت أعماله المعجزة، ويوضح معناها من سمائه بطولته عليه وإعلانه ((ابنه الحبيب)) في عماده، وفي تجليه، وفي قيامته، وفي رفعه حياً إلى السماء. ففي نظر الإنجيل بحسب مرقس، إن سلطان يسوع المطلق هو دليل إلهيته.

بهذا البيان الواقعي، المنتزع من صميم الحياة والسيرة، يتجلّى ((إنجيل يسوع المسيح ابن الله)) (١ : ١).

*

وفصل الخطاب، في أسلوب الإنجيل بحسب مرقس، إنه ((إنجيل)) ، ميزة أسلوبه وإعجازه أنه ((السهل الممتنع)) .

مرقس وحده يسمى سيرة المسيح ودعوته ((إنجيلاً)) : ((بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله)) (١ : ١) . ويردّد ذلك ثماني مرات (٢ : ١٤ و ١٥ ؛ ٨ : ٣٥ ؛ ١٠ : ٢٩ ؛ ١٣ : ١٠ ؛ ١٤ : ١٤ ؛ ١٦ : ١٥) . بينما لوقا ويوحنا لا يستعملان كلمة ((إنجيل)) لكتابيهما، ومتى يستخدمها أربع مرات، في نصوص تأتلف مع مرقس . فمرقس انفراد بتسمية دعوة المسيح ((الإنجيل)) أي البشرى، نقلاً عن المسيح . فسيرة المسيح ((إنجيل)) ، لا تاريخ علمي بالمعنى الحضري، خصوصاً الحضري : ودعوة المسيح ((إنجيل)) لا حكمة بالمعنى المشهور . إنه ((إنجيل)) أي سيرة دعوة دينية يظهر فيه ((يسوع المسيح ابن الله)) .

وبيان هذا الإنجيل هو بيان الواقع الملموس المحسوس لا بيان المخطط المدروس! إنه بيان الفطرة، لا بيان الصنعة! إنه بيان الواقع المعجز الذي يسخر بالبيان، كما قال بسكال .

ومع أسلوبه الشعبي، ((هناك الذوق الفني الذي يعرف كيف يلتقط اللمحة العابرة بأدق تفاصيلها، فلا يعطيها من الأهمية فوق ما تستحق، أو أقل مما تستحق، ولا يضعها من الصورة إلا حيث يجب أن تكون . وذلك الذوق هو الذي يبتعد بروايته عن مزلق الحذقة والتصنع)) .

وهذا الذوق الفني الفطري يجعل إعجاز الإنجيل بحسب مرقس من ((السهل الممتنع)) . فليس هو إعجازاً لغوياً مرتهاً بلغة وزمان ومكان . والإعجاز فيه في الشخصية وسلطانها، وسحر بيانها في أحوالها وأعمالها وأقوالها : إعجاز في

(١) ميخائيل نعيمة، من مقال في ((ملحق النهار)) ٧/٣/١٩٦٥ ص ١٤ .

المعنى أكثر منه في المبنى. إعجاز الكلمات العظام التي لم ينطق بمتلها إنسان! إعجاز المعجزات البشرية التي فوق الحسبان. فالإعجاز في الرسول والرسالة، في السيرة والدعوة، لذلك لا يضيع إعجازها في نقلها إلى لغة أخرى، بل ينتقل إعجازها معها إلى سائر لغات العالم، لأن إعجازها في فطرتها، لا في صنعتها.

إنه إعجاز ((السهل الممتنع)) القائم على الواقعية الملموسة، والطبعية المحسوسة، والبساطة المتناهية، والحيوية الفيضة، في بيان ((إنجيل يسوع المسيح، ابن الله)) .



[Blank Page]

الفصل الخامس شهادة الإنجيل بحسب مرقس

- توطئة : الإنجيل بحسب مرقس هو إنجيل بطرس، لا إنجيل بولس
- بحث أول : ((إنجيل يسوع المسيح ابن الله))
- بحث ثان : أسماء المسيح الحسنى
- بحث ثالث : يسوع يتخذ صفات إلهية ويعمل أعمالاً إلهية
- بحث رابع : يسوع هو الرسول الأعظم
- بحث خامس : سر ملكوت الله
- بحث سادس : سر الصليب
- بحث سابع : سر المسيح
- القول الفصل : إنه ((إنجيل يسوع المسيح ابن الله))

*

* *

[Blank Page]

توطئة

الإنجيل بحسب مرقس هو إنجيل بطرس، لا إنجيل بولس

الإنجيل بحسب مرقس هو شهادة ليسوع بأنه ((المسيح، ابن الله)) (١ : ١).

درسوا المخطوطات القديمة، وقالوا : إن كلمة ((ابن الله)) ليست أصيلة فيها؛ وهي أثر من آثار بولس على مرقس. قال الجاحد لوازي^١ : إن الإنجيل بحسب مرقس هو ((تفسير بولسي للتراث المسيحي القديم)) .

وللحال جاءه الردّ المفحم من العالمين شويتزر وفرنز أنه ليس في الإنجيل بحسب مرقس من أثر للعقيدة البولسية الخاصة التي يسمّيها ((إنجيلي)) . وما فيه من تعابير تشبه لغة بولس إنما هو من التراث المسيحي المشترك. فقد يكون فيه بعض ((التعابير البولسية)) ، قرأها مرقس في الرسالة إلى الرومانيين، أو في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس، لمّا كان في رومة مع معلمه بطرس، ويتردد على بولس في سجنه. لكن لغة بولس الخاصة في البرّ بالإيمان، من دون أعمال الشريعة، ليست فيه. وأكثر المطابقة قائمة بين لغة بولس وخاتمة الإنجيل بحسب مرقس (١٥ : ٩ — ١٠). لكنه من المشهور أنّ هذه الخاتمة ليست من مرقس، إنما أقحمت عليه على عهد الرسل : فجميع المخطوطات اليونانية تشهد لها. مع ذلك فإن أفسابيوس وجيروم يشهدان أن أصح المخطوطات لا تحملها. ومخطوط من القرن الرابع يحمل الخاتمة الصغرى. وأربع مخطوطات تحمل الخاتمة الكبرى والخاتمة الصغرى معاً. فقانونيتها قائمة إما نسبتها إلى مرقس فهي غير قائمة.

(١) Loisy : Les Evangiles synoptiques, I p. 116 – éd. 1907

وإسقاط كلمة ((ابن الله)) من عنوان الإنجيل (١ : ١) لا يغيّر من موضوعه شيئاً. فنعرف أن كلمة ((ابن الله)) ناقصة في بعض المخطوطات الكبيرة والصغيرة، وفي الترجمة ((البسيطة)) السريانية، وفي الترجمات الأرمنية القديمة، لكن أكثر المخطوطات اليونانية تثبتتها. ويقولون بأن إيريناوس وأوريجين وغيرهما من الآباء يجهلونها؛ لكن أكثر الآباء يرددونها. وسواءً كانت كلمة ((ابن الله)) صحيحة في النص أم دخيلة عليه، فهذا لا يغير من معنى الإنجيل شيئاً : فالإنجيل بحسب مرقس لا يشهد ((بمسيحيته)) يسوع مثل متى — وهذه دعوة لا معنى لها في البيئة الرومانية — بل يشهد ليسوع المسيح أنه ((ابن الله)) بسلطانه الإلهي.

أما قولهم بأن النظرة ليسوع أنه ((ابن الله)) هي من بولس لا من بطرس الذي ينقل مرقس روايته، فهذا تنكّر مفضوح لبلاغات بطرس في (سفر الأعمال). منها : ((فليعلم يقيناً جميع بني إسرائيل إن الله قد جعل يسوع، هذا الذي صلبتموه أنتم، رباً ومسيحاً)) (أع ٢ : ٣٦). فقله : ((رباً)) مرادف ((ابن الله)) . هذا هو البلاغ الأول حالاً بعد رفع المسيح إلى السماء، وقبل هداية بولس. كذلك القول بالخلّاص بالمسيح هو دعوة بطرس قبل أن تصير دعوة بولس : ((فما من خلّاص بأحد غيره، إذ ليس تحت السماء اسم آخر أعطي للناس به يخلصون)) (أع ٤ : ١٢) وكذلك القول في عالمية الدعوة المسيحية، فهي من المسيح، على لسان بطرس، قبل هداية بولس : ((لأن الموعد هو لكم ولبنيتكم، ولجميع البعيدين، بقدر ما يدعو الرب إلهنا منهم)) (٢ : ٣٩).

وهناك كلمة ((سرّ)) المتواترة عند بولس في صراعه مع الغنوص، والتي نجدها عند مرقس في قوله : ((سرّ ملكوت الله)) (مرقس ٤ : ١١). فهي لا تدل بذاتها على تأثير بولس في رؤية الإنجيل، لأن التعبير قد دخل في التراث العام، ورهبان قمران قد أشاعوا بين الناس كلمة ((سر)) في شؤون الله والدين، كما ورد في مخطوطاتهم.

١٣٥ _____ ... إنجيل بطرس، لا إنجيل بولس

ومما يؤكد استقلال مرقس عن بولس في رواية الإنجيل أن صيغة تقديس جسد الرب، هي عند مرقس مثل متى، لا مثل لوقا القريب من بولس؛ وأن مرقس لا يذكر نسخ الإنجيل للشرية كما يعلم بولس.

فكل هذه الدلائل توحى وتشهد بأن الإنجيل بحسب مرقس ليس ((إنجيل)) بولس؛ إنما هو رواية بطرس الشاهد العيان الممتاز. وسفر الأعمال شاهد حي على وحدة الدعوة بين تعليم بطرس فيه (أع ١٠ : ٣٤ - ٤٣)، وتفصيل هذا التعليم في الإنجيل بحسب مرقس.

فالإنجيل بحسب مرقس، هو إنجيل بطرس، لا إنجيل بولس.



[Blank Page]

بحث أول

((إنجيل يسوع المسيح ابن الله))

إن الإنجيل بحسب مرقس يعلن عن شهادته منذ مطلعته : ((بدء إنجيل يسوع المسيح، ابن الله)) (١ : ١). واسم المسيح، في لغة مرقس، يعني ((ابن الله)) ، لذلك اكتفى في شهادة بطرس : ((أنت المسيح)) (٨ : ٢٩). وغاية الإنجيل كله أن يبرهن للرومانيين، بسيرة المسيح ودعوته، أن يسوع المسيح هو ((ابن الله)) مثل الإنجيل بحسب يوحنا (٢٠ : ٣١). لكن بينما يسلك يوحنا طريقة لاهوتية صوفية، يسلك مرقس، نقلاً عن بطرس، طريقة تاريخية شعبية : سلطان المسيح الإلهي دليل إلهيته. فالهية المسيح تهم العالم الروماني أكثر من ((مسيحيته)) اليهودية، موضوع الإنجيل بحسب متى لليهود النصارى.

فمرقس، محدث شعبي، مثل معلمه بطرس الذي يرى مثل أبناء الشعب سرّ شخصية المسيح في سلطانه الإلهي المعجز، الظاهر من أحواله وأعماله أكثر من أقواله. لذلك نرى عند مرقس ظاهرتين : إنه يقتصر جداً خطب يسوع حتى ((المختصر المفيد)) ؛ مع أنه ينوه مراراً بوجودها.

فليس عند مرقس سوى خطابين : الخطاب بالأمثال (٤ : ١ — ٣٤) والخطاب في مصير الملكوت (ف ١٣). أما سائر الخطب فلم يحفظ منها سوى آيات معدودات. فمرقس بخلاف متى لا ينقل خطب يسوع لأنه محدث شعبي، والشعب يفهم بالأعمال البطولية أكثر من الأقوال الحكيمة.

مع ذلك فهو ينوّه بتواتر بتلك الخطب التي لا ينقلها : ((وكان يعلمهم)) أو (كان يخاطبهم بالكلمة)) . متى يقول ذلك مرة (١٣ : ٤٥ = مرقس ٦ : ٢) . بينما هي عادة مألوفة عند مرقس (١ : ٣٩ ؛ ٢ : ٢ و ١٣ (قابل لوقا ٦ : ٦) ؛ ٤ : ١٢ (قابل لوقا ٥ : ٣) ؛ ٦ : ٢ و ٦ (قابل متى ٩ : ٣٥ ؛ ١١ : ١٠ ؛ ٦ : ٣٤) كذلك في الأنبياء بالاستشهاد والصليب (٨ : ٣١ — ٣٢ ؛ ٩ : ٣١ ؛ ١٠ : ١ ؛ ١١ : ١٧ — قابل متى ٢١ : ٢٣ ؛ ولوقا ٢٠ : ١ — ١٢ : ١ و ٣٥) .

ومن الغريب أن كلمة ((تعليم)) لا توجد إلاً عند مرقس (١ : ٢٧ ؛ ٤ : ٢ ؛ ١٢ : ٣٨) . لكنه لا ينقل من هذا التعليم إلاً ((المختصر المفيد)) ؛ أو ينوّه به تنويهاً .

فمرقس، في عرض الإنجيل على البيئة الرومانية، يعنى بالأعمال الإلهية، أكثر من الأقوال المعجزة، لإيلاف الرومانيين .

فسلطان المسيح الإلهي برهان إلهيته .

*

١- إنه ((ابن الله)) بسطانه الإلهي على الشياطين

كانت فاتحة رسالة المسيح صراع مع إبليس على سلطان العالم، في محاولة من إبليس لتحويل يسوع من الاستشهاد إلى الجهاد، ففشل فشلاً ذريعاً، وعرف لأول مرة في تاريخ البشرية مَنْ هو خصمه .

وجاءت الأحداث تظهر سلطان يسوع الإلهي على الشياطين : ((اخرس واخرج من الرجل)) ! (١ : ٢٥) . فتطيعه الشياطين وتسجد له صاغرة : ((وكانت الأرواح النجسة تخرّ له وتصرخ قائلة : أنت ابن الله)) ! (٣ : ١١) . وقد تُرغم على استعطافه : ((فلما رأى يسوع من بعيد، بادر إليه، وسجد له، وصرخ بصوت جهير : مالي ولك، يا يسوع ابن الله العلي ؟ ناشدتك الله ألاً

تعدّني!) ((٤ : ٦) . ((لكنه لم يدع الشياطين يتكلمون لأنهم قد عرفوه)) (٢ : ٣٤) .

وهذا السلطان على الشيطان، سلطان ذاتي، لا يظهر أن يسوع يلتمسه من الله الأب بالدعاء. ومن ملء السلطان فيه، يعطي منه لرسله (٣ : ١٥) . فاستخدموه بنجاح، على دهشة منهم. وتسليم سلطانه لرسله دليل على أنه سلطان ذاتي، يتصرف فيه يسوع كما يشاء، ويعطيه لمن يشاء.

*

٢ - إنه ((ابن الله)) بسلطانه الإلهي على الملائكة

فمنذ مطلع رسالته، في خلوته الاستعدادية بالبرية، ((كانت الملائكة تخدمه)) (١ : ١٣)؛ فهم يعتبرونه سيدهم! وسيظل الملائكة في خدمة المسيح سيدهم حتى يوم الدين، حيث يكونون في حاشيته كملك يوم الدين (٨ : ٣٨) : ((وحينئذ يشاهدون ابن البشر آتياً على السحاب، في جلال ومجد لا حدّ لهما! وعندئذ يُنفذ الملائكة ويجمع مختاريه من مهاب الرياح الأربعة، من أقصى الأرض إلى أقصى السماء)) (١٣ : ٢٦ - ٢٧) . وتوكيداً لما سيكون، فإنه يقول بسلطان إلهي : ((السماء والأرض تزولان، أمّا كلامي فلا يزول)) ! (١٣ : ٣١) . فالملائكة هم خدام المسيح وهو سيدهم! وإذا علمنا أن اليهود كانوا يميلون إلى عبادة الملائكة، مع توحيدهم الخالص، فهمنا أن كلام المسيح في الملائكة دليل على سلطانه الإلهي عليهم.

*

٣ - إنه ((ابن الله)) بسلطانه الإلهي على البشر

لم يظهر من ولي ولا نبي، من بشر ولا من ملاك، سلطان على البشر

كسلطان المسيح. فمنذ أول سبت في كفرناحوم، ((عند المساء، بعد مغرب الشمس، أحضروا إليه جميع المرضى والمجانين. وكانت المدينة كلها مزدحمة عند الباب. فشفى منهم كثيرين كانوا بشتى الأمراض مصابين. وأخرج أيضاً شياطين كثيرين)) ! (١ : ٣٢ - ٣٤)؛ ((لذلك كل من كان به داء كان يتهافت عليه ليلمسه)) ! (٣ : ١٠)؛ ((وطفقوا يحملون المرضى على فرش إلى حيث يسمعون أنه هناك! وحيثما كان يتوجه إلى قرى أو مدن أو ضياع، كانوا يضعون المرضى في الساحات، ويلتمسون منه أن يلمسوا ولو هدب رداءه، وكل من لمسه كان يبرأ)) ! (٦ : ٥٣ - ٥٦). وهذا السلطان الإلهي على الإنسان، كان يصل إلى إحياء الموتى، مثل ابنة يائير، أحد رؤساء جامع كفرناحوم (٥ : ٢١ - ٤٣). فالقدرة الإلهية تشع منه كمن مصدرها، فهي ذاتية ولا نرى في الإنجيل بحسب مرقس أن المسيح يدعو الله قبل معجزة؛ إنما هو يجريها بسلطانه الذاتي.

٤ - إنه ((ابن الله)) بسلطانه الإلهي على الطبيعة

فهو يسكن عاصفة هوجاء في البحر بكلمة منه : كان نائماً وسط العاصفة، ((فاستيقظ وزجر الرياح! وقال للبحر : صه! اسكت! فسكنت الرياح، وساد هدوء عظيم)) (٤ : ٣٩). وهو يمشي على الماء في وسط البحيرة، يجعل تلميذه بطرس يمشي معه مثله! (٦ : ٤٥ - ٥٢). وقد يلعن تينة فتبيس للحال! (١١ : ١٢ - ١٩). ويكثر الخبز مرتين، فيشبع من خمسة أرغفة سبعة آلاف من الرجال سوى النساء والصبيان! (٦ : ٣٥ ؛ ٨ : ١ - ٩). أجل لم يظهر في الأكوان مثل هذا السلطان! إنه سلطان إلهي في المسيح.

*

٥ - إنه ((ابن البشر)) بسلطانه الإلهي على الموت والحياة

إن المسيح يُحيي غيره بعد موت مشهود، مثل إحياء ابنة يائير أحد رؤساء جامع كفرناحوم! (٥ : ٢١ - ٤٣). ويحيي نفسه بعد موته بشرياً : فقيامته من القبر في اليوم الثالث هي معجزة المعجزات التي لا معجزة بعدها في تاريخ النبوة والبشرية، بها يظهر على حقيقته ((ابن الله)) ، سيد الموت والحياة. ويعطي من هذا السلطان لرسله فيمارسونه على حياته، وبعد ارتفاعه. وهذا دليل على أنه سلطان ذاتي، ينبع من ذاته، لا يستمد من الله بالدعاء، كما يفعل الرسل والأولياء.

*

٦ - إنه ((ابن الله)) بسلطانه الإلهي في الدنيا والآخرة، على الزمن والأبد

فهو يعرف غيب الله والناس. يعرف ما يجول في خاطر الناس عند كلامه : ((فأدرك يسوع في الحال، بروحه، ما يجول فيهم من الأفكار، فقال لهم : لِمَ هذه الأفكار في قلوبكم)) ؟ (٢ : ٦ - ٩). وظلّ مدة سنة يهَيِّئ تلاميذه لشكّ الصليب، فيتنبأ لهم مراراً باستشهاده، ويصف لهم تفاصيل آلامه وصلبه (٨ : ٣١ ؛ ٩ : ٣١ ؛ ١٠ : ٣٢). ويعلن لبطرس المتحمس جحوده لمعلمه، وساعته : ((قبل أن يصيح الديك مرتين، تنكرني أنت ثلاث مرات)) ! (١٣ : ١). ويعد مريم أخت لعازز، بتخليد اسمها في الإنجيل (١٤ : ٩)، وبتلاوته تنفذ نبؤته. ويوضح لتلاميذه ماذا ينتظرهم في العالم بعد ارتفاعه عنهم (١٣ : ٩). ويعلن لليهود أن الله يأخذ منهم الملكوت، ويسلمه إلى آخرين يؤدّون ثماره في الحين (١١ : ٩). ويحدد لهم ذلك بسقوط أورشليم في أيدي الأميين، وذلك لأن الحجر الذي رذله البنائون من اليهود، أي المسيح، قد صار رأساً للزاوية في بناء الدين المسيحي الجديد (١١ : ١٠).

وهو سيد الدنيا والآخرة، رب الزمن والأبد. فهو يعد من ترك شيئاً في سبيله أنه ينال بدلاً عنه مئة ضعف في الدنيا، وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية (١٠ : ٣٠ - ٣١). ويتوعد من يتنكر له ولإنجيله، أنه هو يستنكره ((متى جاء في مجد أبيه، مع الملائكة القديسين)) (٨ : ٣٨). وهو يحدد زمن ظهور ملكوت الله بعد قيامته : ((الحق أقول لكم : إن بين القائمين ههنا من لا يذوقون الموت، حتى يعاينوا ملكوت الله آتياً بقوة)) ! (٩ : ١١). ويحدد مصير اليهودية ومصير المسيحية في ملكوت الله بقوله : ((الحق أقول لكم : إن هذا الجيل لا يزول حتى يكون هذا كله)) ! (١٣ : ٣٠). وقضاته وصالبوه ((سيرون ابن البشر جالساً عن يمين القدرة (أي الله) وآتياً على سحاب السماء)) رمز عرش الله (١٤ : ٦٢). وفي يوم الدين، سيكون هو ملك يوم الدين : ((ينفذ ملائكته، فيجمعون مختاريه من مهاب الرياح الأربع، من أقصى الأرض إلى أقصى السماء)) ! (١٣ : ٣٧).

إنه بالحقيقة سيد السماء والأرض : ((السماء والأرض تزولان! وأما كلامي فلا يزول!)) (١٣ : ٣١). هذا الكلام لا يقوله إلاً الله أو ((ابن الله)) .

*

٧ - إنه ((ابن الله)) بسلطانه الإلهي في غفران الخطايا والتصريف بشريعة الله

عند اليهود، كما عند جميع الناس، ((لا يقدر أن يغفر الخطايا إلاً الله وحده)) (٢ : ٨). ومن ادعى هذا السلطان لنفسه كان كافراً (٢ : ٧). ويسوع، يدعي هذا السلطان الإلهي لنفسه، ويؤيده بمعجزة علم الغيب والسرائر، ومعجزة شفاء مخلع كفرناحوم، ((لكي تعلموا أن ابن البشر له على الأرض السلطان لغفران الخطايا)) ! (٢ : ١٠).

هو وحده يقدر أن يجالس العشارين والخاطئين، فلا يتأثر بهم، بل يطهرهم بحضوره (١٢ : ١٥). ونبوته لبطرس في جحوده، جعلت بطرس بعد محنته يبكي بكاءً مرأً في توبته (١٤ : ٧٢).

١٤٣ _____ ((إنجيل يسوع المسيح ابن الله))

إنه يملك سلطان الغفران، لذلك يستطيع أن يشرك معه رسله، فيعطيهم سلطان الحل والربط، ويخص به سمعان بطرس زعيمهم. فهو سلطان ذاتي يتصرف به كما يشاء، ويعطيه لمن يشاء!

ومع كل سلطان الغفران، له سلطان على شريعة الله فيطورها كما يشاء، وهو ((رب السبت)) أيضاً : يؤيد ذلك بالكلمة والمعجزة (٢ : ٢٨ ؛ ٣ : ١ - ٥)

*

فسلطان المسيح سلطان إلهي مطلق :

فهو يعرف غيب الخالق (١٨ : ٣١ ؛ ١٠ : ٣٩ ؛ ١٣ : ١ - ٢)، وغيب المخلوق (٢ : ٨ ؛ ١٧ : ١٢ ؛ ١٥) .

وهو يملك سلطان الغفران، والحل والربط، على الأرض وفي السماء.

وهو ملك يوم الدين، يرسل الصالحين إلى السماء، والطالحين إلى النار.

يقوم الخلاص على الإيمان به، والهلاك على الكفر به!

يمشي إلى الاستشهاد، وهو يعلن أنه ((جالس عن يمين القدرة)) الإلهية.

يضع حداً لملكوت الله عند بني إسرائيل، وينقله إلى المسيحيين حتى يوم الدين.

إنه ((ابن مريم)) في بعض أحواله وأعماله وأقواله؛ و ((ابن الله)) في بعض أحواله وأعماله وأقواله.

بذلك يظهر يسوع المسيح أنه ((ابن الله)) ، من سلطانه الإلهي. هذا هو الإنجيل بحسب مرقس، ((إنجيل يسوع المسيح، ابن الله)) (١ : ١) .



بحث ثان

أسماء المسيح الحسنی

أسماء المسيح الحسنی تدل على شخصيته.

١- إنه ((المعلم)) (٤ : ٣٨ ؛ ٥ : ٣٥ ؛ ١٠ : ١٧).

يُسمى يسوع عادة ((المعلم)) . ولم يظهر على الأرض، في تاريخ الدين والدنيا، معلم ازدحم الناس لسماعه مثل يسوع. عند أول خطاب في جامع كفرناحوم ((ذهل الجمهور حتى تساءلوا قائلين : ما هذا ؟ تعليم جديد! وبسلطان! ... وفي الحال ذاع خبره في كل مكان، حتى أطراف الجليل)) (١ : ٢٧ - ٢٨)؛ ((وعند المساء ... كانت المدينة كلها عند الباب)) (١ : ٣٣).

ثم قام بجولة في الجليل يعلم في جوامعهم (١ : ٣٩). وكان معجزاته تأسر الجميع، ((حيث لم يعد في وسع يسوع أن يدخل مدينة علناً، بل كان يقيم في الخارج، في أماكن مقفرة، وكان الناس يأتون إليه من كل حدب وصوب)) (١ : ٤٥).

((وبعد بضعة أيام عاد إلى كفرناحوم. وسمع أنه أحد البيوت. فاجتمع إليه خلق كثير، بحيث لم يبق موضع حتى عند الباب. وكان يبشرهم بالكلمة)) (٢ : ١ - ٢).

((وانصرف يسوع مع تلاميذه إلى البحر، وتبعه جمع غفير من الجليل.

وسمع جمع كثير من اليهودية وأورشليم وأدوم وعبر الأردن وضواحي صور وصيدا، بكل ما صنع، فاقبلوا إليه. وأمر تلاميذه أن تلازمه سفينة، خشية أن ترحمه الجماهير (((٢٧ : ٧ — ٩).

ومن زحمة الشاطئ، إلى زحمة الجبل (٣ : ١٣)؛ ثم ((أتوا إلى البيت، فاحتشد الجمع فيه أيضاً، حتى لم يعد في وسعهم أن يتناولوا طعاماً)) (٣ : ٢٠).

((وأخذ يعلم من جديد بجانب البحر. فاجتمع إليه جمع كثير جداً، حتى أنه ركب سفينة، وجلس فيها على البحر، فيما الجمع كله على الأرض، على شاطئ البحر. وجعل يعلمهم أشياء كثيرة بأمثاله، وقال لهم في تعليمه ...)) (٤ : ١ — ٢). فهل بلغ خطيب من الخطباء بعض عظمة المعلم الإلهي؟!

فالناس، حباً بسماعه، يتبعونه إلى البحر، وإلى القفر! ((فرآهم الجمع منطلقين، وكثيرون عرفوا فبادروا إلى هناك راجلين، من جميع المدن، وسبقوهم! ولما خرج من السفينة أبصر جمعاً غفيراً، فتحنن عليهم لأنهم كانوا كخراف لا راعي لها! وطفق يعلمهم أشياء كثيرة)) (٩ : ٣٢ — ٣٤).

فالمسيح يخطب في البيوت وفي الساحات وفي الجوامع وعلى البر وعلى البحر، وفي السهل وفي الجبل، في الليل وفي النهار. وترى دائماً الجماهير متعلقة بالمعلم المحبوب، حتى ينسون الأكل والشر.

حقاً، ((ما نطق إنسان قط مثل هذا الإنسان)) (يوحنا ٧ : ٤٦).

*

٢ — إنه ((النبي)) (مرقس ٦ : ١٥؛ ٨ : ٢٨).

النبي، عامة، من يتلو نبأ من السماء، أي يتكلم باسم الله، ويبلغ عن الله.

والنبي، خاصة، من يطلع على الغيب، ويتنبأ بالمستقبل المحجوب.

ويسوع كان نبياً بالمعنيين.

يظهر يسوع النبيّ الأعظم الموعود؛ ويفرد بمميزات نبوته على النبيين أجمعين.

الأنبياء كلهم يتكلمون باسم الله؛ يسوع وحده يتكلم باسم الله، وباسم ذاته : الأنبياء يقولون : ((قال الله)) ؛ أما هو فيقول : ((الحق أقول لكم)) ، فهو ينطق باسم ذاته.

ويسوع هو أيضاً نبي لنفسه، وبذلك يمتاز على الأنبياء أجمعين : إنه هو نفسه الرسول والرسالة معاً؛ نبوته أن يكشف عن شخصيته؛ والكشف عن سر ذاته يكشف لنا سرّ الله في ذاته.

وتمتاز نبوته أيضاً على النبؤات جميعها أنها كانت بالكلمة والمعجزة معاً، بساطان الرسول وسلطان الرسالة معاً؛ إعجاز في الرسول، وإعجاز في الرسالة معاً.

كلّ أنبياء الكتاب تنبأوا عنه أنه النبي الأعظم الموعود؛ فلما ظهر حقق النبؤات كلها، وجمع في شخصيته ما كان متعارضاً في الظاهر منها، كالجمع بين ابن داود المنحدر من داود، وبين ابن البشر النازل من السماء؛ بين المسيح المكلل الخالد وبين ((عبد الله)) الذي يفدي شعبه بدمه.

كلام الله على لسانه ينبع من ذاته، لا يحده ظرف، ولا حالة. فلا نشعر عنده بوطأة ((برحاء الوحي)) كما عند غيره؛ ولا بحالة خاصة يتلقى فيها وحي الله؛ بل ينطق على الدوام بكلام الله، في النهار والليل. ليس عنده من فرق بين كلام الله، وحديث شريف منه؛ بل كل كلامه هو كلام الله ذاته. إنه النبي والنبوة معاً؛ إنه الرسول والرسالة معاً.

وفي رسالة الأنبياء جميعهم بعض نبؤات نادرة عن المستقبل. أما المسيح

فهو وحده بين العالمين والمرسلين أجمعين يعرف الغيب (١٢ : ١٥)، غيب الله (٨ : ٣١ ؛ ١٠ : ٣٩ ؛ ١٣ : ١ - ٢)، وغيب المخلوق (٢ : ٨ ؛ ٨ : ١٧ ؛ ١٢ : ١٧) . فهو دائماً يطلع على سرائر الناس، ولو ظهر أنه يسأل أو يستفهم (٩ : ٩ و ٤١ ؛ ١٠ : ٣٣ و ٣٤ ؛ ١١ : ٢ ؛ ١٢ : ١٥ ؛ ١٣ : ٣٣ ؛ ١٤ : ١٣ و ١٧ و ٢٠ و ٢٧ و ٣٠ و ٤١ و ٤٢) . ولا يطلع على غيب الخالق والمخلوق، إلا من كان أقرب إلى الخالق منه إلى المخلوق .

تلك هي النبوة في المسيح، النبي الأعظم . إنها صفة ذاتية فيه أكثر مما هي عطاء من الله؛ وبهذه الصفة الذاتية يطلع على غيب الله والمخلوق . وهذا ما لم يحلم به أحد من المرسلين ولا المخلوقين أجمعين .

*

٣ - إنه ((الرب))

منذ السب الأول في كفرناحوم، وشافء مجنون في وسط الجامع والجماعة صاح الشيطان بفم المجنون المسكون : ((ما لنا ولك يا يسوع الناصري ؟ لقد أتيت لتهلكنا ! إنني عرفتك من أنت ! إنك قدوس الله)) (١ : ٢٤) . واللقب مرادف لابن الله أو الرب .

والإنجيل يطبق عليه نبوة أشعيا (٤٩ : ٣)، بشخص المعمدان سابقه الذي يهَيئ طريق الرب : ((صوت صارخ في البرية : اعدوا طريق الرب ! مهدوا أمامه السبل !)) (٣١) . إنه يستخدم اسم ((الرب)) ليسوع .

ولمّا يبلغ يسوع ذروة الإعلان عن شخصيته في الدخول الرمزي إلى أورشليم في أحد الشعانين، يطلق يسوع على نفسه اسم ((الرب)) . فيرسل اثنين من تلاميذه يجلبان له جحش النبوة، ((وإن قال لكما أحد : لم تفعلان هذا ؟ فقولا : الرب في حاجة إليه، ثم يرده إلى ههنا سريعاً)) (١١ : ٣) .

فأخذ المسيحيون عنه هذا الاسم الكريم، وأطلقوه عليه كما نرى في خاتمة الإنجيل، في رفع المسيح إلى السماء : ((ومن بعد ما كلمهم الرب يسوع، ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله. أما هم فخرجوا ودعوا في كل مكان، والرب يشد أزرهم، ويؤيد الدعوة بالآيات التي تصحبها)) (١٦ : ١٩ - ٢٠).

إنه يرتفع حياً إلى السماء، ويجلس على عرش الله إلى الأبد؛ ومع ذلك فهو أيضاً يقيم على الأرض مع رسله يؤيد دعوتهم له بمعجزاته : فهو الحي الخالد في السماء وعلى الأرض : إنه الرب.

*

٤ - إنه ((المسيح))

اسم المسيح، في الإنجيل بحسب مرقس، لا يرد مطلقاً على لسان يسوع. وذلك ليس إنكاراً منه أنه المسيح، كما توهم بعض المغرضين الواهمين، بل تحسباً منه من إثارة الشعب وثورتهم على المستعمرين الرومان.

ويسوع ظل سنة كاملة يظهر بأحواله وأعماله وأقواله أنه المسيح الموعود. ولمّا شعر أن الرسل صحابته تيقنوا من ذلك، خلا بهم إلى قيصرية فيلبس، بانياس الحالية، وسألهم السؤال الأكبر : ((وفي نظركم أنتم، من أنا ؟ - أجاب بطرس، قال له : أنت المسيح! فأوصاهم أن لا يقولوا ذلك لأحد!)) (٨ : ٢٩ - ٣٠). نلاحظ أن مرقس لا يضيف مثل متى : ((أنت المسيح، ابن الله الحي)) ، لأن كلمة ((المسيح)) وحدها في لغة مرقس ولوقا تحمل معنى ((ابن الله الحي)) . وتحسباً من إثارة الناس بالكشف الصريح عن مسيحيته يأمر تلاميذه بالسكوت عنها، حتى الكشف الصاعق أمام السنهدين، في محاكمته.

وهناك سبب آخر للسكوت عن كشف مسيحيته صريحاً : إن المسيح المشهود هو مسيح الاستشهاد، لا مسيح الجهاد كما كانوا يظنون. بعد إعلان مسيحيته

لخاصته، ((أخذ يعلمهم أنه ينبغي لابن البشر أن يتألم كثيراً، وأن ينتبذه الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، وأن يقتل ويقوم بعد ثلاثة أيام! وكان يقول ذلك صريحاً! فاجتذبه بطرس إليه وطفق يزجره)) (٨ : ٣١ - ٣٣). سر الصليب هو حجر العثار الأكبر لعقلية اليهود، وكان الرسل منهم. ففضى يسوع سنته الثانية ليفهمهم سر المسيح المصلوب!

لكن الشعب تأكد من أعمال يسوع أنه المسيح، وكان يناديه بلقب ((ابن داود)) أي المسيح الموعود. فعلوا ذلك في الجليل؛ وفعلوه في اليهودية. فأعمى أريحا، ((لما سمع بأن هذا يسوع الناصري، طفق يصرخ قائلاً : يا يسوع ((ابن داود، ارحمني)) فرحمه وشفاه بكلمة! (١٠ : ٤٧ - ٥٢).

والشعب في أحد الشعانين يصيح : ((هوشعنا! مبارك الآتي باسم الرب! مباركة المملكة الآتية، مملكة أبينا داود! هوشعنا في الأعالي)) (١١ : ٩).

أخيراً في الأسبوع الحاسم، يسوع يكشف عن سرّ مسيحيته. أولاً للشعب كله، في الهيكل، على مشهد ومسمع من الجماهير المحتشدة من أطراف العالم لعيد الفصح، فيعلن بنبوّة داود في المزامير (مز ١٠٩ : ١) أنه المسيح ابن داود وربّه معاً (١٢ : ٣٥ - ٣٧). ثانياً للسلطة العليا في إسرائيل للسنةدين في محاكمته. بعد فشل التحقيق معه، يستحلفه الحبر الأعظم: ((فسأله الحبر الأعظم أيضاً وقال له : أنت المسيح، ابن المبارك ؟ - قال له يسوع : أنا هو! وسترون ابن البشر جالساً عن يمين القدرة (أي الله) وأتياً على سحاب السماء)) أي عرش الله (١٤ : ٦١ - ٦٢). فيسوع يؤيد مسيحيته وإلهيته معاً : ((أنا هو)) ، فحكموا عليه بالإعدام، فاستشهد في سبيل شهادته، وأيد الله شهادته بقيامة المسيح ورفعته إلى السماء.

فيسوع هو المسيح الموعود لأنه ((ابن البشر)) ، و ((ابن الله)) .

*

٥ - إنه ((ابن البشر)) بحسب نبوة دانيال.

إن هذا اللقب النبوي، كما وصفه دانيال، يستوعب كل أسماء المسيح الحسنى في الكتاب والإنجيل. لذلك اتخذ يسوع اسماً له يكشف به عن سره. وما يقصد يسوع بهذا الاسم الغريب العجيب يتضح شيئاً فشيئاً حتى التصريح به في يوم محاكمته، والاستشهاد بنبوة دانيال الذي وحده أطلقه مرادفاً للمسيح يوضح سر شخصيته.

بينما يربط متى، بناءً على نبوة دانيال نفسها أيضاً، اسم ابن البشر، بتأسيس ملكوت الله على الأرض؛ يجعل مرقس محوره شخص المسيح نفسه.

فكل شيء في الإنجيل بحسب مرقس يدور حول ((سر المسيح)) في ((سر ابن البشر)) .

كان سفر دانيال من آخر كتب الوحي التوراتي، فيه يرى دانيال ((ابن البشر)) يؤسس ((ملكوت الله)) على أنقاض ممالك الأرض؛ ويصف شخصيته أنه ((جالس عن يمين القدرة (أي الله)، ونازل على سحب السماء)) .

فكان يسوع بشخصه ورسالته تطبيقاً لهذه النبوة التي تستوعب سائر النبؤات في المسيح الموعود.

فالمسيح هو ((ابن داود)) كما يردّد الكتاب، والزبور خصوصاً. ولكنه هو أيضاً ((ابن البشر الآتي على سحب السماء)) فأصله من السماء أكثر من الأرض.

والمسيح هو عند أشعيا الأول ((المسيح الملك)) الذي يملك إلى الأبد على عرش داود أبيه؛ وهو أيضاً عند أشعيا الثاني ((عبد الله)) الذي يفدي شعبه بدمه (أش ٥٣). فجمع المسيح في شخصه بين الصورتين المتعارضتين ظاهرياً في النبؤتين.

في السنة الأولى أفهمهم أن ((ابن البشر)) هو المسيح الموعود، كما شهد الرسل بفم بطرس. ومنذ هذه الشهادة أخذ مدة سنة يفهمهم أن ((ابن البشر)) هو أيضاً المسيح الشهيد المصلوب. وذلك في ثلاث نبؤات متواترة مدة سنة (٨ : ٣١ ؛ ٩ : ١٢ و ٣١ ؛ ١٠ : ٣٢)؛ حتى صرح لهم على طريق أورشليم للاستشهاد : ((إن ابن البشر لم يأت ليُخدَم، بل ليُخدَم، ويبذل نفسه فداء عن الجميع)) (١٠ : ٤٥).

وفي الواقع الحياتي الملموس نرى الناحية البشرية الإلهية في سر ابن البشر. فهو يعيش مع صحابته مع الناس كبشر. لكنه يُظهر سلطاناً إلهياً مطلقاً على البشر وعلى الشياطين وعلى الملائكة وعلى الكون كله.

فابن البشر يملك سلطان الله لغفران الخطايا (١٠ : ٢)

وابن البشر له سلطان الله على شريعة الله : فهو ((رب السبت أيضاً)) (٢ : ٢٨)

وابن البشر له سلطان الله في يوم الدين، فهو ملك يوم الدين (٨ : ٣٨ ؛ ١٣ : ٢٦).

وابن البشر يعرف غيب الله وغيب المخلوق، كما رأينا.

وقد احتفظ يسوع لنفسه، بعد التلميحات والتوريات المتواترة في سيرته كلها، بالتصريح التام عن سر ابن البشر، لليوم المشهود الحاسم، يوم محاكمته أمام مجلس القضاء اليهودي الأعلى. يسأله الحبر الأعظم : ((هل أنت المسيح، ابن المبارك؟ — أنا هو!)) (١٤ : ٦١). ويبين يسوع مسيحيته وإلهيته في اسمه ((ابن البشر)) بحسب نبؤة دانيال التي يستشهد بها : ((وسترون ابن البشر جالساً عن يمين القدرة (أي الله) وأتياً على سحاب السماء)) ليوم الدين، كملك يوم الدين)) (١٤ : ٦٢).

وأيد المسيح شهادته باستشهاده. وأيدها الله بقيامته ورفعته حياً إلى السماء وجلوسه على عرش الله ، عن يمين الأب (١٦ : ٩ - ٢٠).

فالإنجيل بحسب مرقس هو ((سر المسيح)) في سر ((ابن البشر)) ، بشخصيته الثنائية، والإنجيل بحسب مرقس يصور الواقع الحياتي التاريخي، ولا يفلسفه، ولا يصوّفه، بل ينقله ببساطة وواقعية وطبعية كما وقع. فشهادته لا تترك شكاً في نفس قارئه الخالي من المرض والغرض.

*

٦ - إنه ((ابن الله))

متى يقرن اسم المسيح بلقب ((ابن الله)) كأن اللقبين مترادفان يفسر بعضهما بعضاً، بينما مرقس يذكر اسم ((ابن الله)) وحده، لئلا يظنوا أنه تفسير أمي لاسم ((المسيح)) العبراني.

يرد لقب ((ابن الله)) عند متى مجازاً وحقيقة. لكن مرقس منذ أول آية منه يستخدمه بمعناه الحقيقي، لا المجازي؛ وهذا هو هدف إنجيله.

وفي الإنجيل بحسب مرقس نرى يسوع يتحاشى أن يعلن صراحة أنه المسيح أو أنه ابن الله، قبل اليوم الموعود، لئلا يثير الشعب في قوميتهم، ولئلا يثير السنهدرين في توحيدهم التوراتي. فوارى عن الاسمين المسيح وابن الله بلقب ((ابن البشر)) الذي يعني الاثنين معاً.

فالإنجيل بحسب مرقس هو ((إنجيل يسوع المسيح ابن الله)) (١ : ١).

وللحال نرى الله يعلن ذلك بنفسه من السماء يوم عماد يسوع : ((وانطلق صوت من السماء يقول : أنت ابني الحبيب، فيك رضاي)) (١ : ١١).

وبعد صراع يسوع وإبليس في خلوة يسوع الاستعدادية، حيث ((أقام في البرية، أربعين يوماً، عرضة لتجارب الشيطان، وكان مع الوحوش، وكانت الملائكة تخدمه)) (١ : ١٣)، عرفت الشياطين أن يسوع هو ابن الله. وكانوا أسرع من البشر في إعلان ذلك. فمنذ السبت الأول في كفرناحوم، وبعد خطبة يسوع الأولى في الجامع، صاح الشيطان بفم رجل مسكون : ((ما لنا ولك يا يسوع الناصري ؟ لقد أتيت لتهلكنا! لقد عرفتك من أنت : إنك قدوس الله)) (١ : ٢٥) أي ((ابن الله)) (٣ : ١١)، ((ابن الله العلي)) (٥ : ٧)، الذي تستنزل الشياطين أمامه وترهبه. وهذا يوحي بأن الاسم ((ابن الله)) على لسانهم يجب أن يحمل على الحقيقة، لا على إعجاز.

في الإنجيل بحسب مرقس ثلاث قمم للكشف عن المسيح أنه ((ابن الله)) . في مطلع دعوته، على لسان الله نفسه، في عماد يسوع (١ : ١١)؛ في وسط دعوته، بعد شهادة الرسل صحابة المسيح أنه ((المسيح)) ، في حادث التجلي، حيث أراهم يسوع إلهيته من خلال بشريته، وأكد الرؤيا صوت من الله : ((هذا ابني الحبيب، له فاسمعوا)) (٩ : ٧)؛ وفي ختام السيرة والدعوة، بعد موت المسيح، ((لمّا رآه قائد المئة القائم بإزائه، يسلم الروح هكذا، قال : في الحقيقة كان هذا الرجل ابن الله)) (١٥ : ٣٩). فهذا القائد الروماني هو باكورة الأميين الذي يقدمه الإنجيل مثلاً لهم في الإيمان أن يسوع هو ((ابن الله)) .

وقد تحفظ يسوع في الإعلان أنه ((ابن الله)) كما تحفظ في الإعلان أنه ((المسيح)) خشية إثارة الشعب والرؤساء، لكنه في الأسبوع الأخير الحاسم أعلن الاسمين بصراحة. وختم جداله مع السنهدرين وأحزاب اليهود، في الهيكل بتحديثهم بنبوّة داود : **إن المسيح هو ابن داود وربّه معاً** (١٢ : ٣٥ - ٣٧)؛ بعد إشارته الواضحة في مثل الكرامين القنقلة الذين يمثلونهم : فجميع الأنبياء هم ((عبيد الله)) ، أما هو فإنه ((ابنه الحبيب ... ابني ... وريث الله)) (١٢ : ١ - ٧) .

وانتظر يسوع يوم الفصل للقول للفصل في إعلان إلهيته، مثل مسيحيته. في استجوابه أمام السنهدين، سأله أخيراً الحبر الأعظم : ((هل أنت المسيح ؟ أين المبارك ؟ — فقال له يسوع : أنا هو)) (١٤ : ٦١ — ٦٢) ببساطة إلهية.

فكفروه مجلس القضاء الأعلى وحكم عليه بالإعدام، لا لأنه ادعى أنه المسيح — كثيرون قبله وبعده قالوها وما كفروهم — وهم إنما كفروه وأعدموه لأنه صرح أمام مجلس القضاء الأعلى أنه ((ابن المبارك)) أي ((ابن الله)) .

و غاية مرقس ليست إظهار ((مسيحية)) يسوع، بل بيان ((إلهيته)) ((وبنوته)) من الله. فمسيحية يسوع لا تعني شيئاً في نظر الرومانيين وسائر الأميين. ولا يعرض مرقس بنوة مجازية، وهم مملؤون من الآلهة وأبناء الآلهة. إنما يعرض عليهم البنوة الحقيقية الوحيدة، بنوة المسيح من الله الأب. وهو يفعل ذلك بطريقة عملية توافق عقليتهم، بإظهار إلهية يسوع من سلطانه الإلهي على المخلوقات؛ لا بطريقة صوفية كلامية كما يفعل يوحنا. فليس في الإنجيل بحسب مرقس تصريح عن أزلية المسيح قبل ظهوره على الأرض، كما عند يوحنا، وأن كان عنده بعض تعابير تنبئ عما يأتي به يوحنا : ((أتيت للدعوة)) (١ : ٣٨)، ((أتيت لأدعو إلى التوبة الخاطئين، لا الصالحين)) (٢ : ١٧)، ((إنما أتى ابن البشر ليخدم لا ليخدم)) (١٠ : ٤٥).

وهذه البنوة لا يخلقها مرقس بمناسبة عماد المسيح، بتأثير بولس، كما يتشدد بعضهم، بما أنه لا يذكر قصة المولد. إنه استنتاج خاطئ. فمرقس يتبع تخطيط الدعوة كما فرضه بطرس في سفر الأعمال (١ : ٢٢) وطبقه في عرض الإنجيل على العالم الروماني. وبعد، فإن كلمة الله في عماد المسيح، مثل كلمته تعالى في التجلي : إنها إعلان مكرر للواقع، لا خلق جديد يقوم به بولس أو مرقس.

وهذه ((البنوة الإلهية)) في يسوع ليست بديلاً رومانياً ((لمسيحية)) يسوع

اليهودية. ومسيحية يسوع المشهودة، في الإنجيل بحسب متى، أفضل من المعهودة، لأنها مسيحية ابن الله الحي. وفاتهم إن إعلان إلهية المسيح في بيئة التوحيد اليهودية أصعب منها في بيئة وثنية تكثر فيها الآلهة وأبناء الآلهة. فليست بديلاً، إنما هي عند أهل الكتاب، وعند الأميين، إعلان يسوع: ((المسيح ابن الله)) كما يقول مرقس في فاتحته وعنوان الإنجيل: ((بدء إنجيل يسوع، المسيح، ابن الله)) .

والإنجيل بحسب مرقس يقصد **البنوة الحقيقية**، لا **المجازية**. ويصل مثل يوحنا إلى استخدام اسم ((ابن الله)) على الإطلاق، فيقول: ((الابن)) (١٣ : ٣٢). ولا يطعن في ذلك هذا النص نفسه، حيث يظهر الأب أعلم من الابن: ((وأما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعلمها أحد، ولا الملائكة في السماء، ولا الابن، إلا الأب)) (١٣ : ١٢) فيستنتجون من هذا النص أنها بنوة مجازية لعدم المساواة فيه بين الأب والابن. وفاتهم أنه باستعمال ((الابن)) على الإطلاق مساواة مع ((الأب)) على الإطلاق، وجهل الابن هنا هو تجاهل العارف الذي يصف يوم الدين وصفاً كاملاً، ويجعل نفسه مكان الله ملك الدين. كذلك لا يطعن في بنوة يسوع الحقيقية من الله قوله على الصليب: ((إلهي! إلهي! لماذا تركتني ؟)) (١٥ : ٣٤) لأنه صوت البشرية المائتة في المسيح على الصليب، كما يظهر من إيمان إعلان الضابط الروماني بها، للحال عند موت المسيح: ((ولما رآه قائد المئة القائم بإزائه يُسلم الروح هكذا قال: في الحقيقة كان هذا الرجل ابن الله)) (١٥ : ٣٩). وهي كلمة الفصل في الإنجيل بحسب مرقس للعالم الروماني.

*

٧ - إنه ((يسوع)) أي المخلص

اسم يسوع، وبالعبرانية ((ياشوع)) أي ((الله مخلص)) ، يستوعب كل

الأسماء الحسنى التي اتخذها يسوع في دعوته، والتي سمح للمؤمنين به أن يطلقوها عليه.

لذلك فالإنجيل بحسب مرقس يقول على الإطلاق ((يسوع)) بدون زيادة ((المسيح))
إلا في عنوانه (١ : ١) وفي خاتمته (١٦ : ٩ - ٢٠). ويكرر اسم ((يسوع)) مطلقاً ٨١
مرة. لأن اسم يسوع في نظره يستوعب أسماءه الحسنى كلها : فيسوع هو النبي، وهو المعلم،
وهو الرب، وهو المسيح، وهو ابن البشر، وهو ابن الله.

تلك هي أسماء المسيح الحسنى في الإنجيل بحسب مرقس.



بحث ثالث

يسوع يتخذ صفات إلهية ويعمل أعمالاً إلهية

نستجمع في لوحة واحدة بعض المنفردات في هذه الأبحاث. فنعتذر عن التكرار الناتج عن ذلك، ويبرره اللوحة الرائعة التي نراها في الإنجيل بحسب مرقس حيث يتخذ يسوع صفات إلهية ويعمل أعمالاً إلهية تدل على شخصيته الحقيقية.

١ — إنه رجل ((الروح)) الإلهي. به نزل روح الله إلى البشرية. فهو يُعمد بالروح القدس (١ : ١) فيعلن الله أن يسوع، رجل الروح، هو ((ابني الحبيب)) (١ : ١١). ((وعلى الأثر حمله الروح إلى البرية)) (١ : ١٢) فكان روح الله يسيّره في أحواله وأعماله وأقواله كلها. ويجعل رسله ((صيادي بشر)) بالروح نفسه (١ : ١٧).

٢ — سلطانه على الشياطين هو سلطان الله. فهو يقدر أن يهلك الشياطين (١ : ٢٤)؛ يأمرها فتطيعه (٩ : ٢٥)؛ ويعطي من سلطانه على الشياطين لرسله (١٦ : ١٦).

٣ — إنه يتمتع بسلطان الله على غفران الخطايا، ((ولا يغفر الخطايا إلا الله وحده)) (٢ : ٥). فهذا السلطان دليل شخصيته.

٤ — إنه ((رب السبت أيضاً)) (٢ : ٢٨) يشرع مثل الله للخلق.

- ٥ — معجزاته تتم بإرادته، وتتبع من ذاته : ((قد شئت : فاطهرٌ)) (١ : ٤١).
- ٦ — إنه سيد الطبيعة والكون : بكلمة منه تسكن الريح، ويسكن البحر (٤ : ٣٩ — ٤١). ونعرف من المزمور (٨٩ : ٩) أن هذا سلطان إلهي : ((يا رب إله القوات مَنْ هو قدير مثلك! ... أنت المتسلط على كبرياء البحر! عند ارتفاع لججه أنت تسكنه))!
- ٧ — يقيم الموتى بأمره، دون أن نراه يدعو الله (٥ : ٤١). والإحياء صفة من صفات الله تعالى.
- ٨ — يعطي رسله من سلطانه على الشياطين، ((الأرواح النجسة)) (٦ : ٧) ويمارسون هذا السلطان على حياته، وبعد ارتفاعه إلى السماء (١٦ : ١٦)
- ٩ — للأصم الأبكم يقول بأمره : ((انفتح)) ! فينفتح (٧ : ٣٤)
- ١٠ — بكلمة منه يطمئن رسله المشرفين على الغرق : ((أنا هو ! لا تخافوا !)) (٦ : ٥٠) ، ويخلصهم من الغرق.
- ١١ — هو وحده يعلم الغيب، غيب الله والمخلوق (٨ : ٣١ ؛ ٩ : ٩ ؛ ٩ : ٤١ ؛ ١٠ : ٣٣ و ٣٤ ؛ ١١ : ٢ ؛ ١٢ : ١٥ ؛ ١٣ : ٣٣ ؛ ١٤ : ١٣ و ١٧ و ٢٠ و ٢٧ و ٣٠ و ٤١ و ٤٢).
- ١٢ — يطلب لنفسه ما هو من حقّ الله (٨ : ٣٥ و ٣٨)
- ١٣ — يجعل الله أباه حقيقة (٨ : ٣٨)
- ١٤ — يحوّل لنفسه اسم (الرب) في الكتاب (ملاخيا ٤ : ٥ = مرقس ٩ : ١٢ — (١٣).

يسوع يتخذ صفات إلهية ... ١٥٩

١٥ — إنه ملك يوم الدين ((يرسل ملائكته، فيجمعون مختاريه، من أقصى الأرض إلى أقصى السماء)) (١٣ : ٢٧). فهو سيد الملائكة، وسيد البشر، كما يظهر في يوم الدين.

١٦ — باسمه تُخرج الشياطين وتُصنع المعجزات (١٦ : ١٦) فقد أخذ صفات الله ، ويعمل أعمال الله .

وهو في النتيجة يقبل العبادة من الخلائق : ((وتقدم إليه أبرص ووقع على قدميه وابتهل إليه قائلاً : إن شئت فأنت قادر أن تطهرني ... لقد شئت : فاطهر!)) (٤ : ٤٠ — ٤١)؛ والمجنون المسكون، في جرش، ((لما رأى يسوع من بعيد بادر إليه وسجد له)) ونرى من سياق الحديث أن الشيطان فيه يسجد ليسوع (٥ : ٦)؛ ويأثير أحد رؤساء جامع كفرناحوم ((لما أبصره خرّ على قدميه)) (٥ : ٢٢)؛ والكنعانية ((ما إن سمعت به حتى أقبلت ووقعت على قدميه)) (٧ : ٢٥)؛ والشاب الغني ((بادر إليه وجثا له قائلاً : أيها المعلم الصالح)) (١٠ : ١٥).

فيسوع قد اتخذ صفات إلهية، وعمل أعمالاً إلهية : فهو بالحقيقة ابن الله.



بحث رابع

يسوع هو الرسول الأعظم

يسوع يصف شخصيته ورسالته بهذه الكلمة : ((إن ابن البشر لم يأت ليخدم بل ليخدم، ويبدل نفسه فداءً عن الجميع)) (١٠ : ٤٥).

فرسالة الرسول الأعظم خدمة وتضحية.

منذ مطلع رسالته، في عماده، يحل عليه روح الله، ولا يفارقه ساعة : فكل أحواله وأعماله وأقواله تحت تأييد الروح القدس، وليس فقط ساعة الوحي. بهذه الميزة الفريدة تمتاز رسالته على سائر الرسالات.

ورسالته هي الكشف عن ذاته أنه مسيح الله، ابن البشر النازل من السماء، ابن مريم وابن الله معاً. وبالكشف عن ذاته يكشف لنا عن ذات الله. وهي أيضاً تنشر ملكوت الله على الأرض، بذلك الكشف لسر المسيح وسر الله.

ناحية ثانية من رسالته إنها خدمة للبشرية.

وهذه الخدمة تقوم على تحرير الإنسان من نير الشيطان : ((فمضى يدعو في الجوامع، في كل الجليل، ويطرد الشياطين)) (١ : ٣٩). ويظهر أن المجانين في عهده كانوا مسكونين، بإخراج الشيطان يصحو المجنون. هذا ما نراه في مجنون كفرناحوم (١ : ٢٣ - ٢٧) ومجنون جرش (٥ : ١ - ٢٠) وابنة

الكنعانية (٧ : ٢٥ — ٢٧) والولد المصروع (٩ : ١٤ — ٢٩) والاصم الأكم (متى ١٢ : ٢٢). فيشعر الشيطان بوطأة يسوع عليه ويصيح : « لقد أتيت لتهلكنا » ! (١ : ٢٤). وذكر اسم يسوع يكفي وحده لطرده الشيطان (٩ : ٣٨). وقد سلم يسوع رسله سلطانه على الشيطان (٦ : ٧ و ١٣).

وهذه الخدمة تقوم على تحرير البشرية من عاهاتها وأمراضها فلا يلاقي يسوع ذا عاهة إلا شفاه. ففي السبت الأول في كفرناحوم « فشفى منهم كثيرين كانوا مصابين بشتى الأمراض » (١ : ٣٤). وفي نظر يسوع، شفاء المرضى في السبت، أفضل من راحة السبت (٣ : ٤). وكان ليسوع سلطان معجز لشفاء المرضى : « فإنه كان قد شفى كثيرين؛ ولذلك كل من كان به داء كان يتهافت عليه ليلمسه » (٣ : ١٠). إنه حقيقة الطبيب الإلهي : فحيثما حلّ « طافوا للحال في تلك البقعة كلها. وطفقوا يحملون المرضى على فرش إلى حيث يسمعون أنه هناك. وحيثما كان يتوجه إلى قرى أو مدن أو ضياع، كانوا يضعون المرضى في الساحات، ويلتمسون منه أن يلمسوا ولو هدب رداءه، وكل من لمسه كان يبرأ » (٦ : ٥٤ — ٥٦).

وشفاء الجسد كان سبيلاً إلى شفاء النفس، كما يظهر من شفاء مملع كفرناحوم : فبدأ يسوع بغفران خطاياهم (٢ : ١ — ١٢). وفي سبيل شفاء النفس كان لا يأنف من مخالطة العشارين والخاطئين، كما يفعل أتقياء اليهود؛ ولما تشكك منه الفريسيون أجابهم : « ليس الأصحاء في حاجة إلى طبيب، بل المرضى! إني لم آت لأدعو الصديقين، بل الخاطئين » (٢ : ١٧). ويظهر سلطان يسوع في شفاء النفوس خصوصاً بسلطانه على غفران الخطايا : « لكي تعلموا أن ابن البشر له على الأرض سلطان غفران الخطايا » (٢ : ١٠).

وتبلغ ذروة المحبة عند يسوع في خدمة البشر في رسم القربان الذي فيه يعطي ذاته قوتاً للنفس : ((خذوا : هذا هو جسدي)) ! (١٤ : ٢٢).

فالخدمة والرسالة واحد في نظر يسوع. لذلك قبل رفعه إلى السماء ((قال لهم : اذهبوا في العالم أجمع، وبشروا بالإنجيل الخليقة كلها)) (١٦ : ١٥).

ناحية ثالثة من رسالته أنها **ضحية** في سبيل البشرية : ((إن ابن البشر لم يأت ليخدم، بل ليخدم، ويبدل نفسه فداء عن الجميع)) (١٠ : ٤٥). إنه **ضحية الفداء**. وقد قضى سنة كاملة يفهم فيها تلاميذه أنه ينبغي للمسيح أن يستشهد ويضحى بذاته في سبيل البشرية، وذلك بنبؤات متواترة. **وجعل استشهاده آية رسالته**. فهو الرسول بالاستشهاد، لا بالجهاد، كما كان اليهود يريدون.

إنه الرسول الأعظم، من أيّ الجهات أتيته.



بحث خامس

((سر ملكوت الله)) (٣ : ١٠)

تحت الاسم النبوي الغريب العجيب، ((ابن البشر)) يخفي يسوع ثلاثة أسرار : سر ملكوت الله الذي يدعو إليه، وسر الصليب الذي يُوجّه إليه، وسر المسيح الذي يكشف عنه بالتلميح والتورية حتى يأتي التصريح المبين.

كلمة المسيح الأولى، الجامعة المانعة، كانت البشرى بحضور ملكوت الله. لقد باشر المسيح دعوته بهذا الإعلان الصاعق : ((لقد تمّ الزمان! واقترب ملكوت الله! فتوبوا وأمنوا بالإنجيل)) أي بالبشرى (١ : ١٥).

وطارت البشرى بين الناس كالبرق. وباتوا ينتظرون ظهور الملكوت الموعود، ويتشوقون إلى معرفة حقيقته.

وبما أن الملكوت الذي يدعو إليه المسيح غير الذي يتوهمون — كانوا ينتظرون ملكوتاً أرضياً بالجهاد الظافر — ما كان ليسوع أن يفاجئهم ويصدمهم بإعلان حقيقة ملكوت الله الروحي المسكوني، فلجأ إلى الأمثال يمثله فيها لهم.

((ولما انفرد سأله الذين حوله مع الاثني عشر عن الأمثال. فقال لهم : ((وأنتم قد أوتيتم أن تعرفوا سر ملكوت الله، أما أولئك البعيدين فكل شيء لهم بأمثال)) (٣ : ١٠ — ١١).

فالإنجيل بحسب مرقس يجعل من ملكوت الله سرّاً يكشفه يسوع بأمثال. وقد انفرد بين الإنجيليين بجعل الملكوت سرّاً، من سر المسيح؛ وذلك تمييزاً للنبوة : ((ينظرون نظراً، ولا يبصرون! ويسمعون سماعاً ولا يفهمون! ولا يتوبون فيُغفر لهم)) (٣ : ١٢).

وانفرد مرقس أيضاً بجعل المسيح نفسه محور سر الملكوت، فيطلب لذاته ما هو من حق الله : ((من ترك شيئاً لأجلي ولأجل الإنجيل، فهذا ينال مئة ضعف في الدنيا ... وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية)) (١٠ : ٢٨ - ٣٠).

فالملكوت هو عرس يسوع بقيمة الله الأب مع المؤمنين به : ((أو يستطيع بنو العرس أن يصوموا، والعريس معهم!)) (٢ : ١٩). وشريعة الله نفسها تخضع له : ((فابن البشر هو رب السبت أيضاً)) (٢ : ٢٨). وينتخب من تلاميذه اثني عشر رسولاً ليجعلهم أساس ملكوت الله : ((ثم صعد الجبل ودعا إليه الذين أرادهم، فأقبلوا إليه. وأقام منهم اثني عشر ليكونوا معه، ويرسلهم للدعوة)) (٣ : ١٣ - ١٤). فهم صحابته وهم دعواته في العالم، لأنهم دعاة ملكوت الله : فهم ((قد أوتوا أن يعرفوا سرّ ملكوت الله)) (٣ : ١٠)، ((لأنه في الخلوة كان يفسر لتلاميذه الأخصاء كل شيء)) (٤ : ٣٤) أي يسلمهم أسرار الملكوت. وعلى حياته درّبهم على الرسالة والدعوة له وللإنجيل (٥ : ٧ - ١٣) فال**مسيح والإنجيل والملكوت واحد**.

فعلّهم أن يحذروا كل تعليم غريب، خصوصاً من خمير الفريسيين وخمير هيرودس، الذي يشوّه معنى الملكوت (٨ : ١٥). والكشف الصاعق كان لمّا أعلن لهم تأسيس الملكوت على الصليب، بالاستشهاد، لا بالجهاد : فمن يقاوم سر الصليب الذي هو محور رسالة المسيح ومحور سر الملكوت، يُهدّد بالنبذ كشيطان ولو كان بطرس نفسه الذي يشهد ليسوع أنه المسيح (٨ : ٢٧ - ٣٣).

عليهم أن يقبلوا ملكوت الله ((بأفكار الله)) لا ((بأفكار الناس)) (٨ : ٣٣)، أي ببساطة إنجيلية بنوية، كبساطة الأطفال (٦ : ٣٧)، ((ومن عثر هؤلاء الصغار، المؤمنين بي، فخير له أن يُطوّق عنقه برحى الطاحون ويُلقي في البحر)) ! (٩ : ٤٢)، ((فدعوا الأطفال يأتون إليّ، ولا تمنعوهم، لأن لمثل هؤلاء، ملكوت الله)) (١٠ : ١٤) .

فملكوت الله في قبول يسوع : وكل من ترك شيئاً ((لأجلي ولأجل الإنجيل)) فله الثواب الأعظم في الدارين (٢٠ : ٢٨ - ٣٠) . ملكوت الله مثل كرم الله، والأنبياء عمال فيه، ((عبيد الله)) في كرمه، أما يسوع فهو ((الابن الحبيب الوحيد ... ابني ... الوارث)) لملكوت الله (١٢ : ٦ - ٧) .

وقبول المسيح والملكوت لا يكون بلا اضطهاد في العالم؛ وتلاميذ المسيح أهل الملكوت سيضطهدون ((من أجلي، شهادة منهم. ولا بدّ من قبل (خراب أورشليم) أن تقوم الدعوة بالإنجيل في جميع الأمم)) (١٣ : ٩) . فالشهادة للمسيح والإنجيل والملكوت واحدة، وقد تؤدي إلى الاضطهاد والاستشهاد (١٣ : ٩ - ١٣) . لكنها تكون شهادة ظافرة مظفرة. ولو كانت مخضبة بالدم، ((لأنكم لستم أنتم المتكلمين، بل الروح القدس فيكم)) (١٣ : ١١) .

أخيراً ملكوت الله هو العهد الجديد بدم المسيح : ((هذا هو دمي، دم العهد الجديد، المهرق عن الجميع)) (١٤ : ٢٤) .

فملكوت الله هو الشهادة ليسوع أنه ((المسيح، ابن المبارك)) الذي سيرونه جالساً عن يمين القدرة (أي الله) وأتياً على سحب السماء ليوم الدين، كملك يوم الدين (١٤ : ٦١ - ٦٢) كما رآه دانيال : فالملكوت وابن البشر واحد في يوم الدين وإلى الأبد .

ولم يكن سر صليبه ليحجب عن القائد الروماني المشرف على تنفيذ إعدام

المسيح سر شخصيته : ((ولما رآه قائد المئة، القائم بإزائه، يُسلم الروح هكذا، قال : في الحقيقة كان هذا الرجل، ابن الله)) ! (١٥ : ٣٩).

ودعوة الرسل، في الرسالة المسيحية العامة في العالم، ستكون تبليغاً لدعوة المسيح :
((اذهبوا في العالم أجمع، وادعوا بالإنجيل الخليقة كلها : فمن آمن واعتمد يخلص! وَمَنْ لَا
يُؤْمِنُ يُقْضَ عَلَيْهِ!)) (١٦ : ١٥ - ١٦)، فملكوت الله هو في النهاية ملكوت المسيح.

هذا هو ((سر ملكوت الله)) في الإنجيل بحسب مرقس.



بحث سادس

سرّ الصليب

في القسم الأول من الإنجيل بحسب مرقس نرى الكشف عن سرّ الملكوت وهو ناحية فيه من سرّ المسيح؛ وفي القسم الثاني نرى الكشف عن سرّ الصليب، وهو ناحية أخرى من سرّ المسيح.

تلاحظ الأناجيل الثلاثة المؤتلفة أنه بعد شهادة الرسل بفم بطرس بمسيحية يسوع، ((منذئذ أخذ يعلمهم أنه ينبغي لابن البشر أن يتألم كثيراً... وأن يُقتل ويقوم بعد ثلاثة أيام. وكان يقول ذلك صريحاً!)) (٨ : ٣١). لقد دخل تعليم يسوع عنصر جديد خطير، سرّ الصليب في المسيح!

في عقلية اليهود المسيح خالد لا يموت، ولا يطاله عذاب (يوحنا ١٢ : ٣٤) لذلك لما فاجأ يسوع صحابته وخاصة بسرّ الصليب نفر الرسل قبل الجميع منه، وعلى رأسهم بطرس : ((فاجتذبه بطرس إليه وأخذ يجره! أما هو فالتفت ونظر إلى تلاميذه، وزجر بطرس، وقال له : إليك عني، يا شيطان، لأن أفكارك ليست أفكار الله بل أفكار الناس)) (٨ : ٣٢ - ٣٣)، فكان بطرس والرسل أول المتشككين بسرّ الصليب؛ ومن يستنكر صلب المسيح فعقليته يهودية، وأفكاره ليست أفكار الله، بل أفكار الناس. وهذا بصريح الإنجيل.

وظل يسوع سنة كاملة يروّض تلاميذه على قبول سرّ الصليب في المسيح. وظل تلاميذ المسيح حتى قيامته لا يستسيغونه، لأن كلمة الصليب، كما يقول

بولس، شك عند اليهود، وجهل عند الأميين (١ كو ١ : ٢٣). مع أن الصليب هو سر الحياة الدنيا : ((ثم دعا الجمهور مع تلاميذه وقال لهم : من أراد أن يتبعني فليضح بذاته ويحمل صليبه ويتبعني)) (٨ : ٣٤). فمن لا يفهم الصليب، لا يفهم المسيح، ولا يفهم الحياة. والصليب في المسيح وفي الحياة ليس جهلاً أو ذلاً، بل سيقول بولس ((حكمة الله وقدره الله)) (١ كو ١ : ٢٤). وفي عرف العالمين أجمعين، إن الاستشهاد هو قمة البطولة وذروة المجد وأفضل ضحية لأسمى عبادة الله.

ونرى أن يسوع يكشف رسله بسر الصليب في مواقف مجده : بعد الشهادة له أنه المسيح (٨ : ٣١ - ٣٣)؛ وبعد التجلي، حيث أراهم إلهيته من خلال بشريته (٩ : ١٢).

وقضى العام الثاني، في سبع رحلات خارج الجليل، إلى الأميين. ((ومرّوا بالجليل، ولم يكن يريد أن يدري به أحد، لأنه كان يعلم تلاميذه ويقول لهم : إن ابن البشر سوف يُسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه! ومتى قتل ينهض بعد ثلاثة أيام! - فلم يفهموا هذا الكلام، وكانوا يهابون أن يسألوه)) (٩ : ٣٠ - ٣٢). فسر الصليب صعب حتى على أتباع المسيح!

واقتربت الساعة للصلب والاستشهاد، فعزم على الصعود إلى أورشليم حيث ينتظره المصير المحتوم : ((وفيما هم صاعدون إلى أورشليم، عاد فاعتزل بالاتي عشر، وطفق يقول لهم ما سيجري له)) من آلام وصلب (١٠ : ٣٢ - ٣٤).

فكما حجب يسوع عن الجماهير سر مسيحيته لئلا يستثيرهم، حجب عنهم سر صليبه حتى لا يشككهم. وعلى طريق أورشليم انفرد بالاتي عشر وأعطاهم كلمة السر في مصيره : ((إن ابن البشر لم يأت ليخدم، بل ليخدم ويبذل ذاته فداءً عن الجميع)) (١٠ : ٤٥).

وأتى الأسبوع الحاسم، أسبوع الكشف للجماهير، عن سر المسيح وسر الملكوت وسر الصليب. فدخل أورشليم، في أحد الشعانين دخول المسيح الموعود! وأعلن لهم في الهيكل أنه ابن داود وربه معاً! وكشف للسنةدين أمام الجماهير مؤامراتهم لقتله، بما أنه ((ابن الله الحبيب الوحيد)) : ((هذا هو الوارث (لملكوت الله)! هلموا فلنقتله، ويكون الميراث لنا!)) (١٢ : ٧).

والسلطات اليهودية هي التي هيجت الشعب لكي يطالب بصلب يسوع ((فصاحوا : اصلبه! .. وتمادوا بالصياح قائلين : اصلبه! وشاء بيلاطس أن يرضي الجمهور فأطلق لهم ابن عباس، وأسلم إليهم يسوع، بعد إذ جلده، لكي يصلب!)) (١٥ : ١١ - ١٥).

أنكره بنو قومه، واعترف به الأميون بلسان قائد المئة الروماني المكلف بتنفيذ الإعدام صلباً : ((في الحقيقة كان هذا الرجل ابن الله)) (١٥ : ٣٩). فكان صلب المسيح مصدر إيمانه وإيمان العالم! ولم يحجب سر الصليب سر المسيح عنه وعن أمثاله.



بحث سابع

سر المسيح

ميزة الإنجيل بحسب مرقس أنه يجعل سيرة يسوع كشفاً عن ((سر المسيح)) . فيجعل من ((سر المسيح)) محور سيرته.

ونرى فيه يسوع، كلما رشح شيء من سره، يأمر بإخفائه عن الجمهور. كانت الشياطين أول من عرف شخصية المسيح في يسوع، ((فلم يدع الشياطين يتكلمون لأنهم قد عرفوه)) ! (١ : ٣٤)؛ وإذا نادى به أنه ((قدوس الله)) (١ : ٢٤) ((ابن الله)) (٣ : ١١) ((ابن الله العلي)) (٥ : ٧)، ((كان ينتهرها ألا تشهره)) (٣ : ١١ - ١٢) . ولما بلغت معجزاته نزوة دلالتها المسيحية والإلهية، في إحياء الموتى مثل ابنة يائير رئيس جامع كفرناحوم، ((أوصاهم بإلحاح ألا يعلم أحد بذلك)) (٥ : ٤٣) - وهنا يوجد شيء من الغرابة في فرض السر بأمر مكشوف، فقد تمت معجزة الإحياء في مأتم حافل مشهود، فكيف يخفى على الشاهدين ؟! مع ذلك في كل الأحداث الكبرى نرى يسوع يفرض الصمت على الجميع : بعد إحياء ابنة يائير (٥ : ٤٣)؛ بعد شهادة الرسل بفم بطرس أنه ((المسيح)) ، ((فأوصاهم ألا يقولوا ذلك لأحد)) (٨ : ٣٠)؛ بعد التجلي وشهادة الله الأب : ((هذا ابن الحبيب، فاسمعوا)) ، أوصاهم ألا يخبروا أحداً بالرؤيا، إلا متى قام ابن البشر من بين الأموات)) (٩ : ٩) .

فما معنى هذا الواقع المذهل ؟ يسوع يعرف بنفسه، ومع ذلك يفرض الصمت ؟!

رأى فيه بعضهم مناورة للدعاية! خصوصاً في شأن إحياء ابنة يائير على مسمع ومشهد من جمهور القائمين بمآتمها.

ورأى فيه غيرهم استنكاراً من يسوع أنه المسيح، وأنه ابن الله! وهذا الرأي يتعارض مع الإنجيل كله.

ورأى فيه غيرهم أسلوباً من مرقس يستر به عورات الرسل وجحود اليهود بالمسيح يسوع.

لكننا نرى أنها **خُطة من يسوع مدروسة** : فسر المسيح المشهود أعمق من خبر المسيح الموعود. فكان على يسوع أن يتحفظ في الكشف عن سر شخصيته وسر رسالته.

فالناحية الأولى من سر المسيح هي سرّ شخصيته الذي وارى عنه بلقب ((ابن البشر)) . فالمسيح المشهود ليس فقط ((ابن داود)) بل هو أيضاً كما رآه دانيال، ((ابن البشر الآتي من السماء على السحاب)) : فأصله أرضيّ وسماوي معاً. وفي إعلان أصله السماوي بصراحة يصدّم اليهود في عقيدة التوحيد. فكان عليه أن يدرّجهم بتعليمه ومظاهر سلطانه أنه ابن داود وابن الله معاً، قبل الإعلان عنهما بصراحة في الأسبوع الحاسم. وما كان يتّقيه من شهادته قد تمّ باستشهاده.

والناحية الثانية من سر المسيح هي سر رسالته، في سر الصليب. فلما تيقن التلاميذ وشهدوا بقم بطرس أنه المسيح، ((منذئذ أخذ يعلمهم أنه ينبغي لابن البشر أن يتألم كثيراً ... وأن يُقتل ويقوم بعد ثلاثة أيام! وكان يقول ذلك صريحاً!)) (٨ : ٣١). فهدف رسالته الاستشهاد والفداء. وهذا يصدّم العقلية اليهودية في أملهم بالمسيح، سيد الجهاد للسيطرة على العالم. فكان على يسوع أن يتحفظ في الكشف عن سر الصليب في سر المسيح، لئلا يشكّكهم قبل كمال دعوته وتسليم الإنجيل. والشك لا بد منه تجاه الواقع الغريب :

((ينبغي لابن البشر أن يتألم)) ! (٨ : ٣١). ابن البشر النازل من السماء، من مصدره الإلهي، سيكون عرضة لذلّ الصليب! ؟ هذا ما استنكره الرسل وبطرس قبل الجميع، فكيف بالآخرين؟! وقول يسوع بعد تجليّه للمقربين من رسله : ((لا تخبروا أحداً بالرؤيا حتى يقوم ابن البشر من بين الأموات)) (٩ : ٩) يلقي النور على قصد يسوع : إنه يحجب سر شخصيته، وسر رسالته، حتى تتم دعوته.

فلم يكن فرض ((سر المسيح)) على الناس اختلافاً من مرقس، إنما هو الواقع التاريخي الذي يفرضه منطق البيئة والأحداث.

فحجب ((سر المسيح)) عن العامة كانت خطة مدروسة من يسوع، وقضية توقيت تفرضه الدعوة، حتى تنهياً القلوب والعقول للقبول. فلما أن الأوان أظهر يسوع بأحواله وأعماله وأقواله سر شخصيته وهدف رسالته. فدخل عاصمة الدين والدولة دخول المسيح الفاتح في أحد الشعانين. واستولى على هيكل الله وأخذ يعلم فيه بسلطانه، وهذا رمز سلطته على كل ما يمثله الهيكل من الدين. وسمح لرسله والجماهير أن تتادي به ((ابن داود)) أي المسيح، وأن يهتفوا : ((مباركة المملكة الآتية، مملكة أبينا داود)) (١١ : ١٠). ويعلن للجماهير المحتشدة للفصح من أطراف الدنيا أنه بين الأنبياء ((عبيد الله)) ، ((الابن الحبيب الوحيد، الوريث لملكوت أبيه)) (١٢ : ٧). ويختتم دعوته في الهيكل بتحدي السلطات والأحزاب، أمام الجماهير، باستشهاده بنبوة داود، أنه ابن داود وربّه معاً (١٢ : ٣٥ — ٣٧). ويأتي القول الفصل في شهادته الصريحة أمام مجلس القضاء الأعلى : ((أنت المسيح، ابن المبارك ؟ — أنا هو!)) (١٥ : ٦١ — ٦٢). فكانت الشهادة الكبرى والاستشهاد الأعظم، في الكشف عن ((سر المسيح)) .

فسر المسيح موجود في الأناجيل كلها. نجد ذلك مثلاً عند متى في شفاء الأعميين (متى ٩ : ٢٧ — ٣١)، وفي خلوات يسوع بعيداً عن الأخصام المتربصين (متى ١٢ : ١٥ — ٢١؛ ١٤ : ١ — ١٦ : ١٢). لكن مرقس جعل

من ((سرّ المسيح)) محوراً لروايته. وواقعيته تدل على أنه تصوير للواقع التاريخي الحي الذي عاشه يسوع مع الرسل وبطرس روايته.

لم يتم الكشف عن سرّ المسيح، حتى تم الكشف عن سرّ الملكوت وسرّ الصليب، في سيرة المسيح ودعوته.

وسرّ الملكوت، وسرّ الصليب، وسرّ المسيح، هي اللغز الأكبر الذي كان يحمله يسوع بلقب ((ابن البشر)) الذي يسمي نفسه به.

وبالشهادة والاستشهاد، وبالقيامة والرفع إلى السماء، برح الخفاء.

والقول الفصل، في شهادة الإنجيل بحسب مرقس، هو بالكشف عن سرّ ((ابن البشر)) في سيرته، هذا اللقب النبوي الذي وارى فيه يسوع وأبدى سرّ شخصيته وسرّ رسالته.

وميزة السيرة والدعوة عند مرقس هي الشهادة لسرّ ((ابن البشر)) ، وهو سرّ في ثلاثة : سرّ المسيح، وسرّ الملكوت الذي يؤسسه، وسرّ الصليب الشرط الذي لا بدّ منه لقيام الملكوت، وبالاستشهاد، لا بالجهاد كما كانوا يتوهمون. بهذه الثلاثة ظهر المسيح النبي الموعود والرسول الأعظم، المعلم والطبيب الإلهي، الرب يسوع، ابن داود وابن الله معاً، من سلطانه الإلهي الذاتي ومن الصفات الإلهية التي يتخذها والأعمال الإلهية التي يقوم بها. هذا هو ((إنجيل يسوع المسيح ابن الله)) كما سمّاه.

والطابع الخاص للإنجيل بحسب مرقس أنه يسرد الواقع المسيحي كما وقع بلا عرض كلامي مثل متى، ولا عرض منسق تاريخياً مثل لوقا، ولا عرض صوفي مثل يوحنا. إنه الواقع المسيحي في واقعيته وطبعيته وحيويته وبساطته؛ وهو يكفي للكشف عن سرّ المسيح وسرّ رسالته في لقب ((ابن البشر)) .

وهذا اللقب الذي لا يرد إلا على لسان المسيح نفسه كان أفضل تورية لسره بسبب نبوءة دانيال، آخر نبؤات العهد القديم التي نزلت قبل الدعوة المسيحية بمئة سنة ونيف، وبسبب ما تحمله من معان تتسجم فيها الصور المختلفة في المسيح الموعود، تلك الصور النبوية التي انصهرت وتبلورت في يسوع ((ابن البشر)) كما يسمى نفسه.

فالإنجيل بحسب مرقس هو شهادة الواقع المحسوس الملموس ليسوع أنه ((المسيح ابن الله)) (١ : ١). هذا هو إنجيله (١ : ١). وهذا الواقع يظهر منذ مطلعته حتى القول الفصل فيه، بشهادة الضابط الروماني الوثني عند موت المسيح : ((بالحقيقة كان هذا الرجل ابن الله)) (١٥ : ٣٩).



خَاتَمَةُ الْكِتَابِ
مَسِيحِيَّةُ يَسُوعَ وَإِلَهِيَّتُهُ

[Blank Page]

إن الإنجيل بحسب متى دفاع عن المسيحية بعرضها في البيئة الإسرائيلية؛ والإنجيل بحسب مرقس دفاع عن المسيحية بعرضها في البيئة الرومانية.

متى يعرض مسيحية يسوع الإلهية؛ ومرقس إلهيته في مسيحيته.

أولاً : يسوع، ابن مريم، هو المسيح الموعود

هذا هو عنوان الإنجيل بحسب متى (١ : ١)، وبحسب مرقس (١ : ١)

ظهر في القرون الوسطى إنجيل منحول، هو (إنجيل برنابا)، يدّعي أن المسيح ليس ((عيسى ابن مريم)) ، بل ((محمد بن عبد الله)) .

وفي الواقع الإنجيلي يسوع لا يصرح أبداً أنه المسيح، في بني قومه^١ ، لاختلاف وجهة نظرهم في المسيح الموعود عن وجهة نظره : هم يرون في المسيح بطلاً قومياً يقيم ملكوت الله في إسرائيل وبيسرايل، بالجهاد والسيطرة العالمية على دول الأرض، وهو يرى في نفسه المسيح الرسول الديني الذي يقيم ملكوت الله بالكشف الأخير عن ذات الله، وبالاستشهاد لفداء الإنسان وتقريبه من الله؛

(١) صرح به للسامرية (يوحنا ٤ : ٦٥ - ٢٦)؛ وقبل من الشعب تسميته ((ابن داود)) أي المسيح. ولما جاء الكشف الحاسم صرح للشعب أنه، بحسب نبوة الزبور، ابن داود وربه معاً.

ثم لأن المسيح المشهود أسمى من المسيح الموعود، فهو ((ابن البشر)) ، النازل من السماء بحسب نبوة دانيال؛ لذلك كتى ذاته عن ((مسيحيته)) باسم ((ابن البشر)) المتواتر على لسانه.

يفتح متى دلائل مسيحية يسوع بسجل نسبه وحسبه : إنه ((يسوع المسيح، ابن داود، ابن إبراهيم)) (١ : ١) أي وريث النبوة والملك الأعظم. فالدليل الأول على ((مسيحية)) يسوع هو جنسيته وهويته.

الدليل الثاني، مولده من أم بتول لم يمسهها بشر، تنميماً لنبوة أشعيا (٧ : ١٤). وهذه الولادة المعجزة من بتول، التي انفرد بها يسوع على العالمين والمرسلين أجمعين، تحقق في يسوع اسم النبوة : إنه ((عمانوئيل)) أي ((الله معنا)) (متى ١ : ٢٣).

الدليل الثالث، دعوته لملكوت الله. إن المسيح الموعود بأوصاف شتى يظهر ليقوم ملكوت الله في ((عهد جديد)) . ودعوة يسوع كلها كانت لتأسيس ملكوت الله. ولم يظهر نبي في إسرائيل دعا إلى ملكوت الله إلا يسوع، فهو المسيح الموعود.

الدليل الرابع، تنميم النبوات كلها فيه، واستجماع أوصاف المسيح كلها في يسوع. وهذا هو البرهان الذي يقدمه متى الرسول لبني إسرائيل في الإنجيل ويسوع نفسه أعطاه لوفد المعمدان برهاناً على رسالته ومسيحيته : إن أعمال يسوع تدل على أنه المسيح الموعود (متى ١١ : ١ - ٦).

الدليل الخامس، معجزات يسوع. في الكلام الإسرائيلي والمسيحي والإسلامي^١، إن المعجزة هي دليل النبوة والرسالة الأوحى، فلا نبوة بلا

(١) قال الجويني في كتاب (الإرشاد ٣٣١) : ((لا دليل على صدق النبي غير المعجزة. فإن قيل : هل في المقدور نصب دليل على النبي غير المعجزة ؟ - قلنا ذلك غير ممكن)) .

معجزة. ويسوع قد استجمع أنواع المعجزات كلها، ووصل بها إلى أسمى إعجازها دليلاً على مسيحيته. هذا ما قاله لوفد المعمدان : ((انطلقوا وأعلموا يوحنا بما تسمعون وترون : العمي يبصرون! والعرج يمشون! والبرص يطهرون! والصم يسمعون! والموتى ينهضون! والمساكين يبشرون! وطوبى لمن لا يشك فيّ))! (متى ١١ : ١ - ٦)؛ وهذا ما قاله لعلماء الشريعة بجداله معهم في سلطانه على الشياطين : ((إن كنت بروح الله أخرج الشياطين، فذلك أن ملكوت الله قائم فيما بينكم)) (متى ١٢ : ٢٨). وتحقق الشعب من دلالة معجزاته على مسيحيته : ((فتعجب الجموع، قالوا : لم يظهر قط مثل هذا في إسرائيل))! (متى ٩ : ٣٣). ويسوع يلعن المدن التي لم تؤمن به بعد معجزاته : ((عندئذ شرع يلعن المدن التي أجرى فيها أكثر معجزاته لأنها لم تتب، قال :

ويل لك يا بيت صيدا!
من المعجزات لتابتا في المسرح والرماد!
ستكونان أهون مصيراً منكما في يوم الدين!
حتى السماء! إنه سيُهبط بك إلى الجحيم!
من المعجزات لتبنت حتى اليوم!
ستكون أهون مصيراً منك في يوم الدين!))
(متى ١١ : ٢٠ - ٢٤)

((ويل لك يا خورزين!
لأنه لو صنع في صور وصيدا كما فيكما
لذلك أقول لكم : إن صور وصيدا
وأنت، أيا كفرناحوم، أو ترتفعين
لأنه لو صنع في سدوم كما فيك
لذلك أقول لكم : إن أرض سدوم

الدليل السادس، شهادة الشعب ليسوع إنه ((ابن داود)) أي المسيح : أعميان من كفرناحوم يصيحان : ((يا ابن داود ارحمنا))! .. حينئذ لمس أعينهما وقال : بحسب إيمانكما فليكن لكما! فانفتحت أعينهما!)) (متى ٩ : ٢٧ - ٣١)؛ فقد أيدَ التسمية بالمعجزة. والكنعانية الفينيقية تصيح : ((يا سيدي، يا ابن داود ارحمني! إن ابنتي فيها شيطان يعذبها جداً!)) فامتحن إيمانها ثم قال لها : ((أيتها المرأة، إيمانك عظيم، فليكن لك كما تريد! فشفيت ابنتها من تلك الساعة)) (متى ١٧ : ٢١ - ٢٨). فأيدَ التسمية بالمعجزة. أعميا أريحا يصيحان : ((يا سيد،

يا ابن داود ارحمنا! .. فتحزن يسوع ولمس أعينهما فأبصرهما في الحال وتبعاه)) (متى ٢٠ : ٢٩ - ٣٣). فأيد تسميته بالمعجزة. وفي أحد الشعانين، الجماهير كلها تهتف : ((هوشعنا لابن داود! مبارك الآتي باسم الرب! هوشعنا في الأعالي! .. وتقدم إليه في الهيكل عمي وعرج فشفاهم! ولما رأى الأحرار والفقهاء المعجزات التي صنع، والأولاد يهتفون في الهيكل ويقولون : ((هوشعنا لابن داود))! سخطوا وقالوا له : أسمع ما يقول هؤلاء؟ فأجابهم يسوع : نعم! أوما قرأتم قط أنه : من فم الأطفال والرضع أعددت تسبيحاً!)) (متى ٢١ : ٩ - ١٦)؛ ((فقال له بعض الفريسيين، من بين الجمع : يا معلم ازجر تلاميذك! فأجابهم قال : أقول لكم، إن سكت هؤلاء صرخت الحجارة))! (لوقا ١٩ : ٣٩ - ٤٠). إنها شهادة جمهورية علنية في عاصمة الدين والدولة، وفي هيكل الله، بأن يسوع هو ابن داود أي المسيح. ويسوع أيّد شهادة الشعب بمعجزاته.

الدليل السابع، شهادة يسوع واستشهاده. أخيراً بعد التوريات المتواترة يعلن يسوع في الهيكل لمجلس الأحرار والشيوخ، وللأحزاب اليهودية، وللجماهير المحتشدة من أطراف البلاد والمسكونة للصح، بنبوة داود نفسه في الزبور (مزمور ١٠٩ : ١) أنه ((ابن داود وربّه معاً)) (متى ٢٢ : ٤١ - ٤٥). فأوقفوه وحاكموه. وإذ فشل التحقيق قام الحبر الأعظم واستحلفه : ((استحلفك بالله الحي أن تقول لنا : هل أنت المسيح، ابن الله؟ فقال له يسوع : أنت قلت))! - (مرقس : أنا هو!) - واستشهد بنبوة دانيال لتأييد مسيحيته وإلهيته : ((وأيضاً أقول لكم : إنكم منذ الآن ترون ابن البشر جالساً عن يمين القدرة (أي الله) وآتياً على سحب السماء)) كملك يوم الدين (متى ٢٦ : ٦٤). فكفروه وقتلوه. وحكم الوالي الروماني كان على أساس أن يسوع هو ((المسيح، ملك اليهود)) . فشهد واستشهد. وأيد الله الشهادة والاستشهاد بالقيامة والرفع إلى السماء.

هذا هو الدفاع عن المسيحية بعرضها في البيئة الإسرائيلية

*

ثانياً : يسوع المسيح هو ابن الله

تدرّج يسوع في إعلان مسيحيته كي لا يثير الشعب ويستثير السلطة الرومانية المستعمرة. وتدرّج وتحقّظ أكثر فأكثر في إعلان إلهيته في بيئة التوحيد التوراتي في الخالص. فمن الإشارة العابرة، إلى الأعمال المثيرة بسلطان لا مثيل له بين المخلوقين، إلى التصاريح النهائية الحاسمة يتوصل يسوع إلى إثبات إلهيته.

إلهية يسوع تنبع من أبوة الله الذاتية في ذاته. لذلك كان الكشف الأول والدائم عن أبوة الله السامية في ذاته : فالله هو الأب، ويسوع هو الابن، والابن على الإطلاق؛ ودليل بنوته سلطانه المطلق والمعرفة المتبادلة المتساوية بين الله الأب والمسيح الابن : ((لقد آتاني أبي كل شيء! ولا أحد يعرف الابن إلا الأب؛ ولا أحد يعرف الأب إلا الابن، ومن يريد الابن أن يكشف له)) (متى ١١ : ٢٧) — ومن بنوة الابن ينبع تبني المؤمنين بالمسيح حتى يقولوا بحق : ((أبانا الذي في السموات)) (متى ٦ : ٩).

بدأ المسيح دلائل إلهيته بسلطانه الإلهي المطلق على الطبيعة والشياطين والملائكة. منذ خلوته الأولى في البرية ((كانت الملائكة تخدمه)) (مر ١ : ١٣) بعد انتصاره على إبليس؛ وكانت الشياطين تستخذي أمامه، وتشهد : ((ما لنا ولك، يا يسوع الناصري ؟ لقد أتيت لتهلكنا!)) (مر ١ : ٢٤)؛ وتعترف بشخصيته : ((إني أعرف من أنت : إنك قدوس الله)) (مر ١ : ٢٤)؛ وتستدل وتشهد : ((وكانت الأرواح النجسة، إذا رأته، تخرّ له وتصرخ وتقول: أنت ابن الله)) (مر ٣ : ١١)؛ وتسترحم : ((ما لي ولك، يا يسوع ابن الله العلي، ناشدتك الله أن لا تعذبني)) (مر ٤ : ٧). كان الأنبياء يستعيزون بالله من الشيطان الرجيم، والمسيح يظهر سيد الشيطان الرجيم! كان الملائكة حفظة البشر،

والمسيح يظهر سيد الملائكة، تخدمه على الأرض، وتخدمه في يوم الدين : ((كذلك يكون في منتهى الدهر : يرسل ابن البشر (لقب المسيح) ملائكته فيجمعون من ملكوته كل أهل العشرة وأهل الشر ويلقونهم في أتون النار)) (متى ١٣ : ٤١ - ٤٢) فالملائكة ملائكته؛ والدنيا والكون ملكوته؛ والنعيم والجحيم جنته وسجنه. هذا سلطان إلهي، لا سلطان مخلوق!

ومعجزاته في الكون والطبيعة لم يحلم بمثلها بشر! ولا استجمعها رسول! وميزته الأولى فيها إنه يجريها باسمه، من ذاته، بدون دعاء إلى الله؛ فهي تتبع من سلطانه الذاتي. كلمة منه تشفي، لمسة تبرئ، ((ولذلك كل من كان به داء، كان يتهافت عليه ليلمسه)) ! (مر ٣ : ١٠) ((وكانوا يضعون المرضى في الساحات ويلتمسون منه أن يلمسوا ولو هذب ثوبه، وكل من لمسه كان يبرأ)) ! (مر ٦ : ٥٦). يقول للريح وللبحر الهائج : ((صه! اسكت! فسكنت الريح صار هدوء عظيم)) ! (مر ٤ : ٣٩) يبارك الخبز القليل ويشبع الجمهور الغفير! يقول للميت أو المائتة : ((يا بنية، لك أقول : قومي! وفي الحال نهضت البنية وأخذت تمشي، إذ كان لها من العمر اثنتا عشرة سنة)) ! (مر ٥ : ٤١). وميزته الثانية في معجزاته إنه كان يعطيها دليل إلهيته وسلطانه الإلهي ((لكي تعلموا أن ابن البشر له، على الأرض، سلطان مغفرة الخطايا — قال للملح : — لك أقول قم احمل فراشك وامش إلى بيتك)) ! (مر ٢ : ١٠ - ١٢). وقد فهم الشعب أن معجزاته دليل شخصيته : ((فاستولى عليهم ذعر شديد، وطفقوا يقولون في ما بينهم : من هو هذا فتطيعه الريح والبحر!)) (مر ٤ : ٤١). وكانوا يشهدون : ((لم يظهر قط مثل هذا في إسرائيل)) !

من يتمتع بسلطان مطلق على الطبيعة والكون، وعلى الشياطين والملائكة يكون إلهاً وابن الله.

الدليل الثاني سلطانه الإلهي في التعليم. كانت شريعة موسى تنزّل الله في

((الكلمات العشر)) ؛ وكانوا يقولون بقدم التوراة مع القديم. وها يسوع يتحدى الشريعة ويقول على الجبل أمام الجماهير : ((سمعتم أنه قيل للأولين : لا تقتل! لا تزن ... وأنا أقول لكم)) . ويكرر التحدي مراراً، لكن بأدب جم بصيغة المجهول المعلوم : ((سمعتم أنه قيل)) — والقائل هو الله — لئلا يظهر أنه يتحدى الله عز وجل. وهذا التصدي والتحدي والتكميل، باسمه : ((وأنا أقول لكم)) لا باسم الله كسائر الأنبياء والرسل، دليل سلطانه وإلهيته. وقد لحظ الشعب منذ أول خطاب في جامع كفرناحوم : ((فذهل الجميع وكانوا يتساءلون ويقولون : ما هذا! تعليم جديد! وبسلطان!)) (مر ١ : ٢٧) ويتحدى الشعب السلطات ويقول : ((ما تكلم إنسان قط مثل هذا الإنسان)) ! (يوحنا ٧ : ٤٦) .

فالتعليم باسمه؛ والتنزيل عنده كشف من المشاهدة العيان، لا وحي ولا تنزيل؛ وعلم الغيب فيه من علم الله نفسه (مر ٢ : ٨؛ ٨ : ١٧؛ ٩ : ٣٣ — ٣٤ ...)، فالمعرفة متبادلة متساوية بين الله الأب والمسيح الابن : ((لا أحد يعرف الابن إلا الأب! ولا أحد يعرف الأب إلا الابن)) ! (متى ١١ : ٢٧) . فسلطانه الإلهي في العلم والتعليم دليل إلهيته.

الدليل الثالث، الإشارات المتواترة المتصاعدة إلى سر شخصيته الإلهية. إنه ((أعظم من الهيكل)) (متى ١٢ : ٦) والهيكل بيت الله! إنه أعظم ((من يونان)) أو من ((سليمان)) ! (متى ١٢ : ٤١ — ٤٢) ؛ ((الحق أقول لكم : إن كثيرين من الأنبياء والصديقين قد اشتهاوا أن يروا ما أنتم راؤون ولم يروا، وأن يسمعوا ما أنتم سامعون ولم يسمعوا)) ! (متى ١٣ : ١٧) . فمن هو هذا الذي يجعل نفسه أعظم وأكبر من الأنبياء والملوك ؟ ومن هيكل الله ؟ ومن شريعة الله ؟ إنه أكبر من المخلوق، إنه ابن الله، كما يقول عن نفسه.

الدليل الرابع، إن المسيح يطلب لنفسه ما يطلبه الله لذاته من عباده.

يجب على تلميذ المسيح أن يترك كل شيء لأجله، حتى الأهل والولد (مر ١ : ١٧؛ ٢ : ١٤؛ متى ٨ : ١٩ - ٢٢؛ مر ١٠ : ٢٩، لوقا ٩ : ٥٧ - ٦٢). وأن يقبل كل شيء لأجله (مر ٨ : ٣٤ و ٣٨). وأن يتحمل كل شقاق في العائلة بسبب الإيمان به (متى ١١ : ٣٤ - ٣٩؛ لوقا ١٢ : ٥١ - ٥٣؛ ١٤ : ٢٦ - ٣٣؛ ١٨ : ٣٣). وأن يتحمل كل الاضطهادات لأجله (مر ١٣ : ١٣؛ متى ٥ : ١١ لوقا ٦ : ٢٢ - ٢٣؛ ٢١ : ١٢ و ١٧ يوحنا ١٥ : ٢٠). على المؤمن أن يحيا لأجل المسيح كما يحيا لأجل الله.

فمن يكفر بالمسيح هالك (متى ١٠ : ١٤ - ١٥؛ ١١ : ٢٠ - ٢٤ لوقا ١٠ : ١٠ - ١٥؛ ١٩ : ٤٢ - ٤٤). وهو يلعن المدن التي لم تؤمن به ويتوعدا بالنار (متى ١١ : ٢٠ - ٢٤).

فالإيمان به مثل الإيمان بالله : ((إنكم تؤمنون بالله، فأمنوا بي، أيضاً)) (يوحنا ١٤ : ١). مع يسوع، لا محل للخوف (مر ٤ : ٤٠؛ متى ١٤ : ٢٩). من يقبل كلامه وأحكامه، يقبل كلام الله وأحكام الله (متى ٧ : ٢٤ - ٢٧؛ لوقا ٦ : ٤٧ - ٤٩؛ يوحنا ١٥ : ٨ و ١٠). إن الأنبياء والملوك كانوا يشتهون أن يسمعوا تعليمه (متى ١٣ : ١٦ - ١٧؛ لوقا ٢٣ - ٢٤). يدعو المحرومين والمتعبين لحمل نيره، كما يدعو الله لحمل أحكامه (متى ١١ : ٢٨ - ٢٩).

فأحكام المسيح هي أحكام الله، لا تبليغاً عن الله، بل باسمه : ((إن السماء والأرض تزولان، وكلامي لا يزول)) (مر ١٣ : ٣١؛ متى ٢٤ : ٣٦؛ لوقا ٢١ : ٣٣). لا يقول هذا القول إلا الله أو ابن الله.

إن المسيح يعلم ويتكلم كإله : إنه ابن الله.

الدليل الخامس، إن يسوع ينسب إلى ذاته صفات إلهية.

إنه سيد الشريعة : ((وأنا أقول لكم)) (متى ٥ كله)؛ إنه ((رب السبت))

(مر ٢ : ٢٨؛ متى ١٢ : ٨؛ لوقا ٦ : ٥). لا يقول ذلك في بيئة التوحيد التوراتي إلا من يعتبر نفسه إلهاً.

((إن ابن البشر له، على الأرض، سلطان مغفرة الخطايا — ولا يغفر الخطايا إلا الله)) . ويؤيد هذا السلطان بمعجزة (مر ٢ : ١٠؛ متى ١١ : ٦؛ لوقا ٥ : ٢٤). ويعلن لليهود أنه إذا لم يحررهم المسيح من الخطيئة لن يكونوا أحراراً منها (يوحنا ٨ : ٣٦). ويمنح الغفران أمام الجمهور لزكا العشار التائب (لوقا ١٩ : ٩ — ١٠). فسلطانه الذاتي على غفران الخطايا برهان إلهيته.

إنه سيد ملكوت الله. على الأرض يسلم مفاتيحه لزعيم تلاميذه بطرس : ((سأعطيك مفاتيح ملكوت السموات : فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، وما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات)) (متى ١٦ : ١٩). وفي يوم الدين ((يرسل ملائكته ليجمعوا من ملكوته كل الخاطئين إلى النار)) (متى ١٣ : ٤١). ويصير ملكوت الله المسيح نفسه : فالمسيح وملكوت الله واحد، حضور المسيح هو حضور الملكوت (لوقا ١٧ : ٢٠ — ٢٧؛ متى ١٦ : ٢٨). فكما تسلم الملكوت من الأب، فهو يسلمه لرسله (لوقا ٢٢ : ٢٩ — ٣٠). وعلى الصليب، وهو يموت شهيداً، يقول للصلب المصلوب معه والتائب : ((اليوم تكون معي في الفردوس)) ! (لوقا ٢٣ : ٤٣). فالمصلوب المعدوم يمنح الحياة والخلود في الملكوت! ولا يفعل ذلك إلا الله، أو ابن الله.

وينسب إلى نفسه أقوال الله في الكتاب في ذاته تعالى : سابق الله (ملاخيا ٣ : ١) يصير سابق المسيح (١١ : ١٠؛ لوقا ٧ : ٢٧). مديح الله على لسان الأطفال (مزمو ٨ : ٣) ينسبه المسيح إلى ذاته (متى ٢١ : ١٦). يقول على السواء : ((أعطيك)) ، ((والروح القدس يعطيكم)) (مر ١٣ : ١١؛ متى ١٠ : ٢٠؛ لوقا ١٥ : ١٥). يقول على السواء : ((أرسل إليكم)) ، وحكمة الله قالت : ((أرسل إليكم)) (متى ٢٣ : ٣٤؛ لوقا ١١ : ٤٩). إنه يوحد بينه وبين الله.

وينسب إلى نفسه السلطان المطلق في السماء وعلى الأرض : ((لقد آتاني أبي كل شيء))! (متى ١١ : ٢٧)؛ ((لقد أوتيت كل سلطان في السماء وعلى الأرض))! (متى ٢٨ : ١٨). فالمسيح ينسب إلى ذاته سلطان الله نفسه.

وينسب إلى نفسه الخلود والحياة مع تلاميذه إلى نهاية الدهر : ((ها أنا ذا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر)) (متى ٢٨ : ٢٠). وينسب إلى نفسه وجود الله في كل مكان: ((حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، فأنا أكون في ما بينهم)) (متى ١٨ : ٢٠). فهو ينسب إلى نفسه قدرة الله وسعة الله.

وينسب إلى نفسه سلطان الله في تنزيل الروح القدس، وهو سلطان محفوظ لله : كما وهب الله الروح للأنبياء، فيسوع يهب أيضاً الروح عينه لتلاميذه (لوقا ١٢ : ١٢؛ ١٥ : ٢٤؛ ٢٤ : ٤٩؛ يوحنا ٧ : ٣٨ — ٣٩؛ ١٤ : ١٧ و٢٦؛ ١٥ : ١٦؛ ١٦ : ١٦؛ ٢٠ : ٢٢). ولا يُنزل روح الله على عباده إلاً الله وحده.

وينسب إلى نفسه معرفة غيب الخالق والمخلوق، وهذا سلطان محفوظ لله وحده (مر ٢ : ٨؛ ٨ : ١٧؛ ٩ : ٣٣ — ٣٤ ...). ويقول : ((السماء والأرض تزولان وكلامي لا يزول))! (مر ١٣ : ٣). فمعرفة الغيب مطلقة إلهية.

وينسب إلى نفسه العلم الواحد، بالمعرفة المتبادلة المتساوية بين الله الأب والمسيح الابن : ((لا أحد يعرف الابن إلا الأب! ولا أحد يعرف الأب إلا الابن، ومن يريد الابن أن يكشف له)) (متى ١١ : ٢٧؛ لوقا ١٠ : ٢٢).

والمبدأ الكلامي البديهي : من اشترك في صفة من صفات الذات، اشترك في الذات عينها! والمسيح يشترك — بدون شرك — في صفات الله، فهو من ذات الله.

الدليل السادس، يسوع ملك يوم الدين. فمن صفات الله الذاتية التي لا يشاركه فيها مخلوق أنه ملك يوم الدين والمسيح يجعل نفسه مثل الله ملك يوم الدين : فهو

يحشر الخلق للدينونة بواسطة ملائكته؛ من العالم ((ملكوته)) (متى ١٣ : ٤٠ - ٤٢)؛ وهو يأتي بالمجد الإلهي للحساب : ((ومتى جاء ابن البشر في مجده، وجميع الملائكة معه، حينئذ يجلس على عرش مجده. وتحشر لديه جميع الأمم. فيفصل بعضهم عن بعض كما يفصل الراعي الخراف عن الجداء ... حينئذ يقول الملك للذين عن يمينه : يا مباركي أبي تعالوا رثوا الملكوت المعد لكم منذ إنشاء العالم ... ثم يقول أيضاً للذين عن يساره : يا ملاحين، اذهبوا عني إلى النار الأبدية ... فيذهب هؤلاء إلى عذاب أبدي، والصديقون إلى الحياة الخالدة)) (متى ٢٥ : ٣١ - ٤٦). فالمسيح يدين في يوم الدين، ويعطي الجنة للصالحين، والنار للهالكين : إنه ملك يوم الدين، مثل الله، وبالنيابة عنه تعالى.

الدليل السابع، الشهادة لإلهيته، والاستشهاد في سبيلها

تلك الإشارات والتلميحات والتصريحات، يختمها يسوع بالتصاريح الحاسمة في الأسبوع الحاسم من دعوته. لقد تحققت وتدرج في إعلان مسيحيته وإلهيته حتى الأسبوع المشهود، لأن الشهادة الصريحة سيعقبها الاستشهاد الذي لا بد منه في بيئة التوحيد الخالص.

يوم الجدل الأخير الحاسم، جاء وفد من السنهدرين، مجلس القضاء اليهودي الأعلى، يسأل يسوع عن سلطانه. وكان يعرف مكرهم لاغتياله. فأجابهم بمثل الكرامين القتلة. أرسل الله ((عبده)) الأنبياء إلى كرم ملكوته. فقتلهم اليهود فوجاً فوجاً. ((وفي الأخير أرسل إليهم ابنه، قائلاً : سيهابون ابني! فلما رأى الكرامون الابن، قالوا في ما بينهم : هذا هو الوارث! هلموا! نقتله ونستولي على ميراثه! فقبضوا عليه وطرحوه خارج الكرم وقتلوه)) (متى ٢١ : ٣٣ - ٤٠). هذا هو تاريخ النبوة والكتاب في إسرائيل، ومركز المسيح منه : إنه الابن والوارث، بينما الأنبياء ((عبيد)) الله.

وتتابعت وفود الأحزاب الدينية تتبارى في الإيقاع به لاغتياله، ففشلوا وفداً وفداً أمام الجماهير، في الهيكل : ((ومن ذلك اليوم، لم يجسر أحد البتة أن يُلقى عليه سؤالاً)) ! (متى ٢٢ : ٤٥).

فقد حسم المسيح الجدل بالاستفهام الإيجابي عن معنى نبوة داود (المزمور ١٠٩ : ١) الذي يسمي المسيح ابنه ((ربّه))؟ والتورية صريحة : إنَّ المسيح هو ابن داود وربّه معاً.

لهذين التصريحين عن إلهيته، تأمروا وقرروا قتله. فقبضوا عليه وقادوه إلى مجلس القضاء الأعلى أمام السنهدين. وحققوا معه فشل التحقيق. حينئذ ((قال له الحبر الأعظم : أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا : هل أنت المسيح، ابن الله ؟ فقال له يسوع : أنت قلت! وأقول لكم أيضاً : إنكم منذ الآن تبصرون ابن البشر جالساً عن يمين القدرة (أي الله) وأتياً على سحب السماء!)) (متى ٢٦ : ٦٣ — ٦٤). وبحسب حرف مرقس : ((هل أنت المسيح، ابن المبارك ؟ فقال له يسوع : أنا هو! وستبصرون ابن البشر جالساً عن يمين القدرة، وأتياً على سحب السماء)) (مر ١٤ : ٦١ — ٦٢). فقد شهد يسوع، بعد اليمين القضائية، بلغة الشعب ((أنا هو)) ! ولغة القضاء : ((لقد قلت)) ! واستشهد على صحة تصريحه بنبوة دانيال أنها تعنيه، ولذلك أخذ عنه لقب ((ابن البشر)) منذ البدء بدعوته. ومنذ الحكم بالإعدام عليه ((يبصرون ابن البشر جالساً عن يمين القدرة)) أي الله؛ والجلوس عن يمين الله، على عرشه، اشتراك — بدون شرك — في إلهيته وسلطانه. ودليل سلطانه الإلهي أنه ملك يوم الدين : ((سيبصرونه أتياً على سحب السماء)) ! وفي ذلك إشارة لهم أنهم يحكمون على ملك يوم الدين الذي سيمثلون أمامه، تحذيراً لهم ووعيداً. مع ذلك فقد أجمعوا على تكفيره والحكم بإعدامه.

وهم لم يكفروا يسوع بسبب مسيحيته : كثيرون قبله وكثيرون بعده

ادعوها ولم يكفروهم! إنما هم فقد كفروه وحكموا عليه بالإعدام بسبب ادعائه أنه ((ابن المبارك)) ، ((ابن الله الحي)) ، أي بسبب إلهيته!

أما هو فقد شهد بإلهيته، واستشهد في سبيلها، وشهادة الدم لا تُرد!

ومعجزة المعجزات أن الله أيد شهادته لإلهيته، واستشهاده في سبيلها، بقيامته من الموت والقبر في اليوم الثالث ورفعته إلى السماء حياً.

فالمسيح هو الحي الباقي! بينما العالمون، والأنبياء والمرسلون، في التراب ينتظرون، يوم يبعثون!

هذا هو الدفاع عن المسيحية، وعن ((مسيحية)) يسوع وإلهيته، بعرض الإنجيل بحسب متى في البيئة الإسرائيلية، وعرض الإنجيل بحسب مرقس في البيئة الرومانية الهلنستية.

إنه دفاع منزل، بعرض منزل، ((لإنجيل يسوع، المسيح، ابن الله)) (مرقس ١ : ١)، الإنجيل الواحد، بحرّفين متوازيين، في بيئتين مختلفتين؛ فهما شهادة واحدة من ((المختلف المؤلف)) باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني لمسيحية يسوع وإلهيته.



دِرَاسَاتُ إِنْجِيلِيَّةٍ

(١) الدفاع عن المسيحية

- * في الإنجيل بحسب متي
- * * في الإنجيل بحسب مرقس

(٢) تاريخ المسيحية

- * في الإنجيل بحسب لوقا
- * * في سفر أعمال الرسل

(٣) فلسفة المسيحية

- * الرسول بولس
- * * رسائل بولس

(٤) صوفية المسيحية

- * في الإنجيل بحسب يوحنا
- * * في سفر الرؤيا